ساعة الحظ

قصص

فاطمة الشريف

تعديل من خلال WPS Office

تعديل من خلال WPS Office

إهـــداء

إلى كل شيء تبعثر على الطرقات ولم يجد مأوى

تعديل من خلال WPS Office

د

لعل الأشياء البسيطة .. هي أكثر الأشياء تميزا ولكن .. ليست كل عين ترى

جلال الدين الرومي

تعديل من خلال WPS Office

فنجان القهوة

يحمل صبي القهوة (صنية) فوقها كوب ماء، وفنجان القهوة مستريح بجانبها في انسجام
يحيلني إلي حارتنا القديمة، أتسكع ليلا والقمر يضيء بشرفتها، أجلس على الرصيف، أبيع الكلمات لمن يرغب لأشتري لها عقدا ثمينا.

اتحسس شعري الأبيض، ألاحظ أبخرة القهوة تتصاعد، ويتصاعد معها دخان البخور، أبي يرتدي جلبابه، نذهب للحضرة، الجميع منسجم في سبحة فارغة، أغمغم: ماذا يفعل هؤلاء المجاذيب؟ أهرب حيث صحبة الصبا، وصبوتي، حتى يسكن الناس والدواب فأعود، أردد ما يقولون، أفعل ما يفعلون، أصافح أيادي بلا وجوه، يدور عقلي بينما هم يدورون من جديد.
ابتسم والعامل يضع القهوة على طاولة أخري.
ـ ظننتها قهوتي.

تعديل من خلال WPS Office

ملامح

تطل من (درفة) نافذة مواربة، الزجاج يعبث بأوراقها وجدائل الستائر ترفرف بفعل الهواء، مختنقة وسط رفيقاتها، الأشجار من الخارج متناثرة وكثيرة، تحاول الرؤية من بينهم، مازال غصنها وحيدا، تمتد يد تمسك بالزهرية تضعها علي منضدة بعيدة؛ فيميل غصنها تجاه النافذة.

أخطو بقدمي على حشائش خضراء، أنزع الشوك من فروع الورد الربيعي، أضمه وأحنو على الغصن الذابل، فستاني الجميل يلطخه الطين والصندوق مغلق فأنيً لي بثوب جديد؟

الساحة فارغة إلا من المنضدة التي تحمل الزهرية، أقفز، أمرح وأنا أرتب الورد داخل الزهرية وأعيدها إلى النافذة؛ فتعود لها الحياة من جديد.

تعديل من خلال WPS Office

طيف

ينفث في يديه بلطف ويخلع معطفه في هدوء، يقف متطلعا إلى المارة من خلف الزجاج، حبات المطر تتساقط زخات، رسم بأصبعه حروف اسمها، محتها آثار المطر.

لوحته الفارغة تتجسد فيها صورتها، بين أصبعه ريشة ملونه بالأصفر، يرمق السرير المفروش بالأبيض وهي ممدده عليه، بينما هو يمشط شعرها الغجري ويضفي الأحمر الداكن، يعيد ريشته لتتبدل بالأسود، يطلي شفتيها، كلما تلونت صورتها أمامه، أحدث صخبا وأخذ يردد:

ـ ملعونة.

لقد نسي كوب الشاي وحيدا، يرشف قليلا، يشعل سيجارته متكأ على أريكة خضراء، وراح يكمل لوحته، تنظر إليه، همت أن تقد قميصه، استدار ليكون أمام وجهها، صفعها وأمضي ليله يسارع الأرق.

قبل أن يفارق مضجعه أتاه صوت هامس:

ـأكمل

فقام من فوره يمسك بريشته الملونة بالأزرق يعيد تلوين عينيها ويتذكر أنه نسي هاتفه ولا يوجد شاشة تلفاز ولا جهاز كمبيوتر، ينهي رسمته مقسما اللوحة ثلاثة أجزاء:

الجزء الأعلى جبهتها في فراغ أحمر، المنتصف يبرز عينيها الحادتين في فراغ أبيض ملونا أنفها بالأصفر والجزء الأخير يبرز شفتيها في فراغ أسود.

يقف وسط لوحاته واضعا يديه في جيوب بنطاله تحيط به هاله من البشر ووقفت هي تتطلع للوحه التي تشيها، مذهولة تلمح ظل خلفها تمتزج ملامحه بملامحها تلتفت سريعا فإذا به يدقق النظر إليها:

ـ أنت!

تعديل من خلال WPS Office

حان الوقت

في صباح من الأصباح العادية، امتنع عن الذهاب للعمل؛ خموله جعله يلزم سريره، رآه لأ ول مره قائما عند باب الغرفة، امتقع وجهه الشاحب وزاغت عيناه.

يمرر ناظريه في كل قطعة في الغرفة، الطلاء الذهبي المقشر، الدولاب بأرففه المخلعة، سجادة الصلاة التي مزقها التراب، مروحة السقف التي تدور واهنة وصورة زفافه التي لا تشبهه الآن.

تصبب عرقا وزوجته تناديه، هذا الباب الذي دخله معها ليلة زفافهما، فستانها الأبيض وقد تحول إلى أسود، يجيبها وإذا به يجلس في المقعد المجاور للباب.

ابنته الصغيرة تقبل يده، يقبل جبينها، تجري وتلعب، أول مره يحملها بعد ولادتها، صوتها تقول بابا، بكاؤها في الزاوية الأخيرة من الغرفة، يلتفت يمينا يرفعها من الأرض، يدثرها، يبتسم ويتحاشى النظر للجهة الأخرى، يطلب ماء، تأتيه ابنته الكبرى بكوب الماء، يرشف بصعوبة يقيض على يدها ويطيل النظر في صمت يتابع حركة شفتيها في الحديث.

يجلس بين الضيوف ساخطا لا يجيب بكلمة سوي هزة رأسه وحينما انصرفوا نهرها ورفض زواجها ممن تحب.

يبتسم ويضع يده في يدها بفستانها الأبيض، يزفها لعريسها، تسقط دمعه حائرة، وهو يهز رأسه بالنفي مجيبا على سؤالها:

ـ هل تريد شيئا آخر؟

تعديل من خلال WPS Office

يتتبع زوجته مجيئا وذهابا وهي ترتب ملابسه، يلمحه يقترب.

يرفع عينه للسقف هربا من عينيه، يأتي كل مساء متأخرا، ينام بينما هي مستيقظة تراقب تسلله فجرا خارج الغرفة، يتصبب عرقا.

صوت الموسيقي يعلو على أنفاسه، ترقص فيختفي ضوء الغرفة فجأة، يأتيه صوتها.

ـ ألم تستيقظ؟

تزداد رجفة جسده، يقترب منه وقد وضحت ملامحه أكثر، يحدق.

ـ حان الوقت، فيخرج ولا يعود.

تعديل من خلال WPS Office

وخطونا نحو الطريق

نمضي حيث الطريق، لا أحد هنا ولا هناك، فقط أقدامنا، وحفيف الأشجار.

كانت تتحسس دبلتها وتتأملني في سكون، أخجلتني نظراتها التي تنم عن عتاب، أخبرتها أنني ما زلت وحيدا، وصورتها في جيبي.

صوتها الحنون يداعب أذني كل صباح، قالت لي ذات مرة إنها تحب العزف على آلة الكمان، فأهديتها واحدة حتى أحقق لها شيئا تتمناه.

أمس اشتريت لصغيرتي لعبة لها صوت رنان، مر بخاطري عزفها منفردة في نصف الليل في (بلكونة) غرفتها والستائر ترفرف حتي تغطي شعرها المسدول وتعود ببعض خصلا ته .

المقهى المجاور لبيتي العادي لا يخلو من صوت أم كلثوم أو عبد الحليم لكنه هذه المرة غير كل يوم، وتهيأت لي السيمفونية التي لا تخطئني أبدا، تهت مني في تفكير عميق، وفقت لم أجد كرسي المعتاد، شعرت أن الرجل الجالس عليه ينتزع أحد ممتلكاتي فانصرفت، لم أجرؤ على النطق.

غيرتها الحادة تجعل مني رجلا أحمق، كيف أفسر لها أنني لا أفعل ما يغضبها؟ أترك لها كل شيء، ليس لي أي طعم أو لون، لم أصل إلي هذا الهدوء عبثا يا رفيقه فقد عانيت الكثير.

الطريق يطول، صقيع يتخلل الأوردة، ويموت الوقت، ما من ميت يخبرنا كيف يكون شعور الموت حتى نقبل عليه أو نتوارى خلف حائط الدنيا بكل هذا الوهن، كل شيء يبكيني سريعا، أصبحت هشا بشكل مخيف، لماذا لا ينسي الرجل حبه الأول؟

تعديل من خلال WPS Office

_ لماذا لا نلتفت للأشياء الصغيرة؟ عناق أمي، ابتسامة أخي، رفق أبي، وكلمة حب بعد غياب، أذكر أنني ذلك الفتي غير العادي الذي لا يجيد مسايرة الأمور، تري كيف أصبحت الآن؟ لم أتلق إجابة سوى أنها رمقتني بنظرة حائرة، فأكملنا الطريق صامتين.

تعديل من خلال WPS Office

سنبلة جافة

أرفع فأسي متطلعا للسماء تنبئني الشمس المتوهجة بقت الظهيرة مطأطأ "لا تمت قبل أن تكون ندا"

أتشبث بالفأس، (أتسمر)، في الجهة المقابلة يتجهون نحوي، يحملون بنادق وأسلحة آلية، يصوبون نظرات الحقد والكراهية، ينتظرون تقدمي فاتحا ذراعي، أنظر يسارا منزلنا المهدم على سفح الجبل، يتردد على مسامعي صراخ زوجتي وبكاء الوليد يهز الأ رجاء، ما زالت بقايا الجدران تشكو في صمت.

تلمع الشمس في عيني أتطلع للخلف إنه هناك على مد البصر، ينتظرني أقبل بقوة وشجاعة، يريدني أن أهرول دفاعا عنه، أحميه بظهري ونقيم الصلاة، أغلق جفني على دمعي الحارق.

الباب يفتح وتنطلق المآذن، يتصارع المارون، أخلع نعلي، الملائكة تفسح لي الطريق لأ كون في الصف الأول.

أفتح عيني الباب موصد بالكراهية، لا شعائر، لا ذكرى لجبهة الأنبياء، تحتقن رئتي وحبات العرق تتناثر من جميع جسدي، عدت أنظر للسنبلة التي تأب الانغماس في الأ رض.

يمينا الممر المؤدي الي قدر آخر، حيث النجاة من نظراتهم وأسلحتهم، ثواني معدودة تفصلنا عن هذا العالم، وراودتني أفكاري عن الوصول إلى هناك فأكون غيري، وتلاحقت أنفاسي، فكرت أن أرجع إليهم أحتضن هزائمي، عودتني أحزاني أن أرتد للخلف لأبعث من جديد، نظرت أسفل قدمي وجال بخاطري أن أرفع فأسي ثانية، أعيد غرس السنبلة جيدا في أقصي عمق حتي تمكث في الأرض، لكن الفأس لا تسمعني ولم تلب ندائي، سقطت مخضبة بالدماء.

تعديل من خلال WPS Office

انتظرتك

طويت أوراقي أمامي وانتظرتك، قلمي وحيد بجانب تلك الأوراق، التفت تجاه النافذة التي لا يفصلني عنها الكثير، الستائر ترفرف بفعل الهواء، أغلقت عيني حتى أستنشق نسمات تعيد لي أنفاسي، غادرت مقعدي الخشبي أمام المكتب، في السماء قمرا ـ يشبه حبيبي ـ مضيء لكنه بعيد، والوقت يمر، وأنا في انتظاري فهل سيأتي؟ أفكر كثيرا:

_هل نسي ما كان ولم يخطر بباله سؤال؟ هاتفي على سطح المكتب، أرمقه دون أن أقترب عساه يدق ويكون هو، كأن الأرض توقفت عن الدوران.

ـ أتوقف الوقت أو شعوري الحزين..؟

كدت أبكي وامتنعت فهذه أول مره يغيب، كان يسأل عني دائما، أتنهد وأنظر من وراء الزجاج.

أقلب حبات القهوة بهدوء، أستشعر أنفاسه خلفي يضمني، يأخذني من يدي، أخلع ردائي الثقيل، أتحرر من حذائي، يجلس، يمسك عوده الأصيل، يسمعني قصائده الغزلية وهو يعزف لحن الخلود، يخيل لي أنني أحلق طائرا يفرد جناحيه ورأيت صورتي في عينيه، أجلس أسفل قدميه، أضع يدي علي جبينه، ألمس الفراغ، تنسكب القهوة فألتفت، أتركها وأهرع أبحث عنه في كل مكان.

أنتظر موعد قدومه، أنقل ملابسه من الحقائب للدولاب، وأنفض التراب القابع على أغلفة الكتب، زجاجات العطور خاليه، والأقلام مبعثره داخل درج المكتب، آخذ كتابا قديما وأعود لسريري، أسند ظهري للوراء، وأقرأ يتناهى لمسامعي صوت (موتور) سيارته، تنازعني نفسي بين البلكونة والباب.

أسرع وجرس الباب يدق ومعه قلبي، أتقدم نحو الباب بخطوات ترتجف أفتح فاذا بأناس كثيرين، الصمت يخيم، أحدق بتعجب في صمت، تركتهم وبقيت على انتظاري.

تعديل من خلال WPS Office

المقام

انا وكيل وزارة (مصطبة السهتانين) الجديد أقف شامخا متطلعا إلى الأثاث الفخم وهذا الكرسي ذي السترة الحمراء، ظهره منصوب كقامة عالية، ساقاه ممشوقتان مثبتتان على الأرض بعناية، يداه منفرجتان مثل صبية تفتح ذراعيها لحبيبها الأول، والنقش الذهبي يلمع في عيني، أتقدم نحو الكرسي خطوتين، أخذت أعدل (كرفتتي) البيضاء، يأتي مدير مكتبي يهنئني وجماعة من الموظفين، ابتسم مصافحا ثم أجلس على الكرسي بعظمة فإذا بمسمار يمزق بنطالي من الخلف أصيح واقفا:

ـ ما هذا؟ ألم تعلموا بقدومي اليوم لإصلاح هذا الكرسي؟ اعتذر مدير مكتبي سريعا وأرسل للعامل لإصلاح الكرسي، أقف موليا ظهري للحائط لأواري سوءة بنطالي الممزق، طرق العامل على المسمار، كلما دقه ظهر أكثر وأصبح أكثر حدة.

قطة بيضاء ذات عينين خضراوين تنام في ثبات عميق على الكرسي ذو الفرش الناعم، أرمقها بنظرة تنم عن الغيظ، أنادي العامل ليخرجها بعيدا، أحدق فإذا بالقطة قد بالت على الكرسي، امسك برأسي:

ـ أخرجوا هذا الكرسي من هنا لا أريده.

يأتي العامل ومعه شخص آخر، لا يتمكنان من حمله، يتقدم آخر للمساعدة وآخر.

مدير مكتبي:

ـ إنهم أربعة يا فندم لا يستطيعون حمله هل تأتي للجلوس في غرفة أخري حتى يتم تغييره؟

_ لا لا لا، لا أجلس على غير هذا الكرسي.

يستدعي مدير مكتبي ثلاثة رجال من الأمن ليحملوا الكرسي.

عامل منهم: إنه ثقيل للغاية يبدوا أنه ثابت في الأرض.

_أخرجوه من هنا.

تعديل من خلال WPS Office

العامل: ربما الكرسي مرتبط بهذا المكان ولا يمكنه المغادرة بعيدا.

في جانب من الغرفة مدير مكتبي يميل إلي قليلا ويعقد حاجبيه:

ـ يا فندم أظن أن هناك "عمل" علي هذا الكرسي.

ـ ماذا؟

ـ نعم، لعل المدير السابق عمله حتي لا يجلس عليه سواه.

هززت رأسي مفكرا.

جلست ومعي مدير مكتبي في صمت، الشيخ صامت أيضا، وكلما هم أحدنا بالتحدث رمقه الشيخ فسكت، دقائق غير معلومة، قال الشيخ:

ـ بماذا تشعر يا أستاذ؟

وأشار إلى مدير مكتبي.

ـ ليس أنا بل هو.

أغمزه فيتراجع:

ـ أقصد كرسيه، عقد الشيخ حاجبيه وأنصت إلي:

ـ يا حضرة الشيخ هذا الكرسي العاصي لا يريدني أن أجلس عليه، ضرب الشيخ كفيه متعجبا فقال مدير مكتبي:

ـ ليس بالضبط يا شيخ ما جئنا لأجله كرسي الوزارة.

ـ أتريد ترقيه؟ أنا لا أفعل مثل هذه الأشياء.

فصحت: لقد ترقيت بالفعل يا شيخ وقصيت عليه ما حدث معي بشأن الكرسي، فأعطاني الشيخ زجاجه بها ماء مع أعشاب أرش بها حول الكرسي كل صباح.

اليوم اجتماع لمدارسه أحوال الوزارة، قبل أن يبدأ الاجتماع رششت الماء حول الكرسي مثلما أخبرني الشيخ تماما، وجلست مستريحا، الموظفون حولي يتناقشون، أومي برأسي فقط، أثناء المناقشات قال أحدهم:

ـ ما هذه الرائحة الكريهة؟ تلفت الجميع متسائلين؟

ـ لا شيء لا شيء، وأشرت لمدير مكتبي يعلي درجة التكييف أكثر، والرائحة تتزايد و الضجر يتزايد انا أيضا لا يستطيع الامتناع عن الاشمئزاز، وانقطع تيار الكهرباء، الجميع

تعديل من خلال WPS Office

يتصبب عرقا، انصرف الكل مسرعين ومعهم مدير مكتبي الذي أعاد تيار الكهرباء، قمت أخلع ملابسي قطعه قطعة وألقي بها أرضا حتى وقفت عاريا أدق الجرس فيدخل مدير مكتبي، ويستدير فأناديه:

ـ تعالي يا صاحب الأفكار، اخلع ملابسك.

ـ ماذا؟

وتقدم خائفا.

_ قلت اخلع ملابسك حالا وإلا فصلتك، أخذ يخلع ملابسه وأنا أرتديها وبعدما لبست بزته كاملة تركته بسرواله وانصرفت، كلما مر عليه أحد نظر إليه شزرا.

الكرسي يمشي على الأرض، يتمايل برقصة باليه مراوغة، وأنا ازحف وراءه، الكرسي يسير نحو الشباك عبر أفق ممتد وأنا ألحق به، أحاول الإمساك بطرفه، الكرسي يتبدل ويتشكل بألوان الطيف، يمر على بساط أصفر، الكرسي يطير في الهواء وأنا أناديه عليه وأطير في الجو مثله، يطير فأطير، يهبط فأهبط، يركض فأركض، يجلس فأجلس، ولا يمكنني الإمساك به ولا الجلوس فوقه، وعندما تشبثت بطرف رجله طار عاليا وأنا أصرخ من شدة التطوح عاليا، ذهب بي بعيدا بين الغيوم ثم ألقي بي مرة واحدة فهويت على الأرض مصطدما، أفقت أتنهد.

أدخل غرفة مكتبي الأنيق بلفتتي أطيل النظر للكرسي الجميل، أشعل سيجارة:

ـ أريد أن أغير جميع أثاث المكتب عدا هذا الكرسي..

وأشرت إليه بإصبع يدي اليسرى، تردد مدير مكتبي:

ـ وأين ستجلس يا افندم؟

ـ أي مكان غير هنا، وستغلق الغرفة عليه ونقيم له مقاما، هذا الكرسي المبارك لقد بين لي ليلة البارحة.

فصاح مدير مكتبي مهللا:

ـ الله أكبر الله أكبر كنت أعلم أن هذا الكرسي له شأن عظيم، وأغلق الغرفة بالفعل وأخذ الناس يزورون المكان دون معرفه لماذا؟ ومدير مكتبي يجلس خلف الباب يتقاضى الأ جر.

تعديل من خلال WPS Office

الباب

في الركن الأخير من الغرفة، يطل شعاع نور من خلف الشباك، يعكس خضرة السجادة المنحنية على الأرض، أقبّل جبهة أبي وعلامة الصلاة الواضحة، أستنشق عبق جلبابه المنسدل بعناية، ويأتيني صوت الحذيفي" واستعينوا بالصبر والصلاة" لطالما استوقفتني هذه الآية، لا أستطيع تحريك قدمي، ولا التفكر، أراه يسجد طويلا، تري بماذا يشعر؟ .

ألتفت يمينا، دقات قلبي تتسارع، هناك مشاجرات بالخارج، يعلو الصوت مع احتكاك الأواني، تتصادم وتتكسر، تتناثر الشتائم عبر الهواء، يلتقطها المارة ويتعجبون، لا أحد يعرف سبب هذه المشاجرات، أنزعج كثيرا، أستقبل الشتائم واللكمات بصمت مطبق، انتظرت أبي حتى ينهي صلاته كي يصلح بينهم، أو يربط على قلبي، ولكنه لم يفعل.

الباب يطرق، لا أحتمل الطرقات ولا رنين الهاتف، لماذا دائما هناك أحد ينتظر؟ وآخر لا يجيب؟ والباب يطرق، قلت لنفسي أريد الخروج، وعدت أقول لو خرجت سيطبقون عليّ كل ما يسير بينهم، وسأخضع لقوانين الجماعة، أما هنا فأنا سيدة هذا الكون، ولا يوجد بها ثقوب تتسرب منها العدوى، وحدة بحرية خير من جماعة قاهرة.

لا أدري لماذا ينخفض صوت الحذيفي؛ ليحل محله هذا الصوت الأجش، إنه يبعث الخوف في نفسي، أكرهه كثيرا، حتي أنني كلما مشيت في طريق وسمعته عدت من الطريق الخلفي، أفزع من مؤثرات الصوت و(الميكروفونات) الصاخبة، سأوصي بعد موتي ألا تقام مثل هذه الشعائر، أنا أكره الجنائز، يعلو صوت النواح والبكاء، أضع يدي علي أذنيّ، أكتم صراخي، أهدأ قليلا كلما تنفس الشيخ بين كل آية وأخرى، تمنيت أن

تعديل من خلال WPS Office

تخرج روحه؛ حتي لا يعود لمثل ما يفعل ثانية، لماذا يعددون (الميكروفونات)، يجلسون في الطرقات، يرتدون السواد، ويتبادلون البكاء، أما هنا فلا جدوى من هذا، الغرفة مغلقة، وقد حجبت عنها الرؤية.

وتنتهي مشاجراتهم بصوت عبد الباسط؛، وربما يعودون ثانية للمشاجرة فيشترك عبد الباسط، أنا أكره عبد الباسط، صوته الآن يتسلل من خلف الباب، يكبلني الخوف فيرتعش جسدي، يطرقون الباب، أغلق الشباك لينقطع الضوء الشاحب عن هذا الركن من الغرفة، وينتهي أبي من صلاته؛ فأقبّل أثار جبينه علي السجادة الخضراء، وأفتح الباب، إحداهن تمدني بثوب أسود؛ فأقول لها:

ـ الملائكة لا ترتدي السواد.

تعديل من خلال WPS Office

يا شوقي

(1)

وأحسست لأول مرة أن الليل لم يسع الحنين، وأن الدموع التي تنهمر دائما ليست سوي شظايا خلفتها الذكري، وأن كل شيء ينهار من حولي، جلست على مقعدي أتدثر بخوفي ، وجلس بجانبي يضغط على يدي بقوة:

ـ كل شيء حولي كان كاذب سوي حبي لك.

والتقيت بعينيه.

(2)

استيقظت لا أشعر بشيء، رسائل (الفيس بوك) من أصدقائي لا تحمل سوي العتاب أو الرفض والحذف، تصفحت بعناء نصف ساعة كاملة، ثم أغلقت شاشة الهاتف، وأخذت أتجول في المنزل روحة وجيئة.

(3)

يوم الإجازة ملل، أقرأ وجوه الشوارع، لم يخطر ببالي سوى صديقي حازم، جلست أنتظره في المقهى طويلا.

ـ شوقي، كنت سأحدثك اليوم، ابتسمت وواصل حديثه عن بحث الدكتوراه وأنه وجد عنوان البحث، وقبل أن يسألني عن سبب اتصالي، قلت له:

ـ لماذا لا تحبني الفتيات.

ضحك وأخذني للتمشي خارجا، هبت نسائم الخريف الباردة؛ فأدخلت يديَ في جيبي، سرنا في صمت، حتى التفت إليَ فجأة، وكأنه شعر بوحدتي:

ـ كن شاعرا.

ـ لست بشاعر.

(4)

رأسي ستنفجر من التفكير، عدت للمنزل تدور بي الأرض، وصوت صديقي يتردد في

تعديل من خلال WPS Office

أذنيَ:

ـ كن شاعرا.

وضعت مفاتيحي على المنضدة وخلعت حذائي، مازال الصوت يراودني، تمددت على الأ ريكة وقد تبدد البرد تماما، والصوت يعلو:

ـ إن الشعراء يملكون حسا وعمقا، الشعر سيمنحك جمهورا وفتاة لا تحلم بها، فهززت رأسي موافقا:

ـ سوف لا تجد وقت للرد على الرسائل والتعليقات، أتنفس بعمق وأغلق عيني.

ـ الشعر حياة، ستكون نجما لامعا في أقل وقت.

أنتفض هاربا من صوته، أتمشي بين جدران مكتبتي التي لم أدخلها سوي لمقابلة شخصية هامة، أمسك كتابا.

ـ أنت رجل مثقف ولديك القدرة على الكتابة، كل هذه الكتب ستخسرها إن لم تقرأها وتصبح جزء منك.

أغلقت الكتاب وتصفحت غيره.

ـ ستعبر عن نفسك أكثر، وستمتلئ بالمشاعر التي تؤهلك للحب.

أعدت الكتاب للركن مكانه، أصرخ:

ـ لست بشاعر.

صوته يلاحقني:

_ ولكن لديك القدرة علي صنع ما تتمني بقلمك، وتمتلك حسا وذائقه، وستعود للقراءة.

صرخت ثانية:

_ لست بشاعر.

واختلط صراخي بصوت فيروز "رجعت الشتوية"

وصوت صديقي يرافق استسلامي للماء:

ـ إذا أردت أن تكون محبوبا، الشعر والحب لا ينفصلان.

والماء ينساب رقة وعذوبة.

ـ فقط كل ما تحتاجه أن تري الأشجار خضراء، تلمح العصفور الذي يطير عاليا كيف

تعديل من خلال WPS Office

يحط على غصنه، بخار الماء يحيطني، وصوته ينبع من داخلي:

كن شاعرا.

أرتجف:

ـ لست بشاعر

(5)

قهوتي الصباحية باردة بجواري، أنهمك في القراءة، والهاتف يرن لا أجيب، أنام وأحلم.

ـ كن شاعرا.

أفتح عيني لا أجد أحدا فأعود للنوم.

ملايين الإعجابات والتعليقات على جميع صفحات التواصل الاجتماعي، ورسائل لا تعد، عندما كتبت قصيدتي التي ألقيتها في مؤتمر الشعر، لأول مرة لم أصدق نفسي، جماهيري النسائية لست ضمنهم، كنت أبحث عنك دائما في صمت.

(6)

اليوم صديقي يناقش رسالته في الدكتوراه بعنوان" سيكولوجية الحب والشعر" أنا أول الحاضرين، كنت على موعد معك دون أن أدري، فالشعراء حياتهم ليست ملكا لهم، لم أتعجب حين رأيتك تجلسين بجواري، وصديقي يلقي كلمة الشكر التي وجهت لي، ويعلو التصفيق، أخبر الجميع انه لم يك ليتوقع ما حدث، وأن بإمكان أي شخص أن يتحول لشخص آخر، وأشار إليَ ليبدأ التصفيق ثانية، أحسست بشيء يعتصر قلبي، ووقفت أمام الجميع بكامل قوتي.

ـ لست بشاعر

(7)

أدير ظهري، أبكي في صمت، لم أدرك يوما سوي هذه اللحظة أنني أحبه، ووقف قبالتي يهذي.. فتركته وذهبت.

تعديل من خلال WPS Office

ليلة رأس السنة

أمسك يدي طفلي، أنظر إليه بعين الشفقة، لا أدري ماذا سيفعل والده إن علم، يده ترتجف بين يدي، تيبست ركبتاي، وقفت قبالته، ضممته إليَ بقوة.

أتجول بين ساحة من الوجوه، لا أعرف لهم أسماء، جميعهم صامتون، يؤدون دورهم علي أكمل وجه، هذا وجه يميل للسمرة، بين حدقتيه شعاع لا يخرج عن أجفانه، وهذا وجه ضخم ينمَ عن الشموخ، ثقيل الوزن لا يستطيع الحركة سوي في المكان المحدد له ، وهذا وجه آخر يشبه البهلوان يستدعي الضحك دائما، يسخر من كل ما يراه حتى نفسه، انتابتني الحيرة وأنا أطالع وجه عبوس لا ينتمي لهذا الزمن السريع، يحمل بين يديه عصا لا يستطيع أن يلقها على الأرض، ووجه آخر يحمل درع بلون الصدأ، وتبسمت ضاحكة حينما أشار الولد علي وجه بعباءة سوداء.

ـ هذا يا أمي.

أمسك بيدي طفلي الذي يقفز فرحا، كنت أرتدي فستاني الأسود وشالا أبيض وحذاء أحمر، المساء بارد، سيكون بارعا في عرض هذا العام، نقترب من المكان المحدد، موسيقي العزف تعرف طريقها جيدا للآذان، سيحرر ابني من قيد والده طيلة عام، وسيلعب ويضحك ويبكي لساعات أهديته إياه، رأيت الفرح يرتسم علي وجهه رغم علمي بما سيحدث فيما بعد، قررت أن أنهي معه طريقه للنهاية، ها هو الحفل بدأ، علي الباب قبلته وتركته يمضي.

أضع يدي على قلبي أستقبل دموع الفرح، ليس ابني فقط من يرتدي قناع الفانديتا،

تعديل من خلال WPS Office

وقف والده بجواري يهمس لي:

ـ كيف فعلت هذا؟

ـ كل ما كنت أحتاجه التخلص من الخوف والإيمان بشيء ما.

وعلا التصفيق في الثانية عشرة تماما مع صوت الموسيقي ومفرقعات نارية تبعث الحياة من جديد، كان ابني يقف أول الصف، فهتفت بشدة وتنحي والده.

تعديل من خلال WPS Office

خط يدي

أجلس في استرخاء، أمامي مكتبي، قلم وحيد بجانب الورقة البيضاء، وصفحة آخري لم تكتمل، أبخرة القهوة تداعب الهواء، أعقد حاجبيَ عندما أراها أمامي بنفس صورتي، تحتسي قهوتي، حاولت أن أخذها، رفضت، تعبث بأوراقي وتكتب أشياء لا أفهمها، تحسست وجهي فتحسست وجهها، مددت يدي فمدت يدها، لم تتلامس أصابعنا فقط لوحت لي، حاولت الحديث معها، كانت تحرك فمها؛ فينفرج ثم يغلق ثانية، تعجبت من غلق فمها بأزرار لا مرئيه، ابتسمت فظهرت أسنانها بيضاء ناصعة، وأزالت عقدة شعرها فانساب علي كتفها، وكلما وجهت إليها سؤال عاد فمها لما كان عليه، حاولت أن أنسي ا لأمر وأكمل قهوتي، وجدتني صامته وقلمي بائس، الورقة البيضاء بين خطين كلاهما أحمر، منذ بداية المدرسة ولا يوجد سوي هذه الكشاكيل ذات العلامات الحمراء، أشعر بشيء يطوقني، لقد مللت هذا، وكراسات الرسم فارغة من أي خط لا يستقيم عليها الك لام، والورق الفولسكاب ردئ جدا، مدت يدها بورقة ليست بها تلك الخطوط، قلت لنفسي:

_ماذا سأكتب في هذه الورقة، لقد اعتدت علي الكتابة بين خطين ونسيت كيف تكون الورقة دون علامات، حتي هذا القلم لا يكتب سوي الأزرق، جميع الألوان لا تناسب الورقة.

تمد يدها، تفك رباط عنقها، حاولت النهوض، كبلتني الحيرة، لابد أن أحتفظ بشيء ما، كوب الماء يلمع، والساعة المعلقة تدور حول نفسها، وهي تمد يدها وأنا أحاول الإمساك بها، الورقة التجربة، كيف نخضع كل القوانين لنتائج مسبقة؟ سآخذ الورقة وأكتب، سأكتب على ورقة خالية من العلامات لأول مرة، تمد يدها، إنها قريبة جدا حد الابتعاد، وبعيدة لدرجة لا يتصور معها القرب.

أمد يدي أكثر، غريقة تتمني النجاة، لماذا تبتعد؟ شيء ما يشدني للأمام وأخر، اتحرك، ذراعي سينخلع، لا هي تستطيع الوصول ولا أنا أقوي على النهوض، أشعر بمعاناة المستحيل، تكاد تتلامس أصابعنا ولا نلتقي، يا الله، سأبكي، وربما سأصرخ فيسمعني أحد، لا صوت يخرج ولا يدي تطال يدها، والورقة بيننا تنادي وتستجير، تعبت وجبينها يتبلل عرقا، صرخت أخيرا، وأنا ألقي بكوب الماء الزجاجي، قذفتها به؛ فانكسرت المرآة وهدأت نفسي.

تعديل من خلال WPS Office

رسائل الصباح

غصن في أعلي الشجرة هناك، عصفور يوشوش عصفورا آخر، وعصفور يستند على عصفور، ومعهم عصفور يرفع رأسه في شموخ دون النظر لبقية العصافير، العصفور يزقزق، أسترق السمع لأسمع وشوشته، ماذا يقول؟ ماذا يريد من العصفور الآخر؟ لونه جميل، لا أستطيع تحديد لونه، أظنه يميل إلى الرمادي، والعصفور الوحيد أبيض، ريشه ينتفض ويحط علي غصن آخر، يجلب مجموعة من القش، يحاول أن يبني عشه على الشجرة؛ فتأتي الرياح بزوابع الهواء البعيدة تهدم العش.

العصفور لا يهدأ أبدا، يرفرف ويزقزق، يغني ويغني، يحيط عالمه بجناحيه، تساءلت كثيرا عما ينتظر هذا العصفور، لم أجد إجابة سوى أنني انتظره دائما، وأحزن في غيابه، تمنيت لو كان ينتظرني مثلما أنتظره حتى لمرة واحدة، وكيف سأعرف إن كان ينتظرني وهو صامت، التعبير عن الحب أهم من الحب.

كم هو جميل، أريد أن ألمسه، في كل مرة يطير بعيدا، يمتنع عن القرب أكثر، ربما يفضل أن يعيش بحرية، ليتني لمسته كي أدرك حنانه، أراقبه بعينيَ، تري ماذا يعني الحنان؟

أكتب إليه أصفه بأرق كلمات، أتغزل في صوته الناي حين يعزف أنات الحنين، أراه وحيدا دائما، أخشى عليه هذا التفرد، موجود ولا موجود، يسافر ويعود، ربما سأحزن إن أتي يوما ومعه طائر غريب، سأخاف عليه من وطأة المدن، سيأخذه حيث لا أراه، وربما نام على جناحه، وداعب ريشه النقي، سيطلب منه أن يغني لأجله ويرقص معه ويحلق فوق بلاد بعيدة، هل سيعود إليَ؟ هل سيتذكرني عند كل صباح؟ أم سيذهب وينسي مثل كل شيء؟ و" تنسي كأنك لم تكن ".

تعديل من خلال WPS Office

أيها العصفور الجميل، أظنك لا تعرف عنواني، لطالما حلمت بأن يصبح لي جناحان وأطير، يا تري ما أسمك؟ من أي البلاد أنت؟

يبني عشه بعدما هدمته الريح، قشة قشة، ألوح إليه بيدي فيلوح لي، تنهدت والغصن يبتعد مع عجلات القطار الذي كان ينتظر الركاب، ابتعد الغصن حتي تلاشي تماما، وابتعد القطار؛ فمسحت دمعتين خانتاني..

ـ ليتك لم تنو الرحيل.

تعديل من خلال WPS Office

جنوبي

حارة ضيقة تنير ليلا، المصابيح حمراء والشوارع مزينة بأوراق الخريف، بائع (الجيلا تي) يلتف حوله الصبية، وقفت أسجل هذا المشهد بناظري، رجل يرتدي قميصا مقلم يشمر عن ذراعيه، وتحت القميص (بودي) بلون جلده المائل للصفرة، قباعته السوداء تميل على جبينه، وله شنب (شال شبلن)، كما أنه يشبهه في الجسم، خيلَ إليَ أنه سيخرج آلته الموسيقية من هذه العربة الخشبية، بينما هو يرفع الغطاء ليكشف عن ألوان (الجيلاتي) المتنوعة، والأطفال يلتفون حوله ينتظرون.

فكرت في مكان، سأقف في الناحية اليمني، لمعت (فيونكة) البنت ذات الرداء الأحمر، بحذائها الأبيض، وفجأة طالت قامتها وانسدل شعرها على كتفها، أخذها الأمير بحصانه الأبيض " سندريلا " تقف تنتظر بائع (الجيلاتي)، ابتسمت في صمت، كان هناك الكثير من السندريلات، والبائع يمسك ملعقته ويملأ سبت (الجيلاتي) الذي يفوح برائحة المانجو.

وقفت على الرصيف المواجه لبائع (الجيلاتي)، الولد ذو الزي المدرسي يأخذ سبت (الجيلاتي)، تحرك البائع، فتحركت معه، لمحت شيخا يطل من (بلكونته) النحاسية، عقدت عاجبي وهو يضحك بسخرية ويقول:

ـ تعالي يا ولا هاتلي الجيلاتي.

ـ حاضر يا عم كشكش.

البائع لا يثبت على حال، كنت أنظر بحذر شديد، حتى إنني تذوقت طعم فاكهة (الجيلا تي) المانجو والبرتقال وشكولاتة، ورائحتها الأكثر عبقا، تمنيت واحدة خاصة لي، ولربما لم يصنعها بعد، وتقدمت نحو البائع، وأنا أعبر الرصيف الآخر رأيت عيونا تلمع في الظلا م، البكاء سلاح الضعفاء، له ملامح بريئة وشعر رجل، طفل صغير يمسك بكتاب مدرسي ، يكتب شيئا ما، ويرمق الأطفال تارة، و(الجيلاتي) يتهيأ له ليلة حالمة، أمامه دستة مناديل، كم حزنت لأجله، وأنا أعبر الرصيف الآخر، توقفت أحادث نفسي:

تعديل من خلال WPS Office

ـ سأخذ (جيلاتي) بالبندق، أو الفراولة، لا بل جميع الفاكهة.

الولد ينظر بدقة لكل سبت يعطيه البائع لأحد الأطفال، وقفت في الصف كأحد الأطفال ، أعطيته نقودي الفضية وأخذت (الجيلاتي) بجميع الفاكهة الموجودة، اكتفيت أن بإهداء (الجيلاتي) للولد القابع بين سيارتين، مددت يدي؛ فمسح دموعه قبل أن تسقط بكمه الممزق ونظر إليَّ، نظرة لم أستطع تحديدها، أهي ذهول، أم مفاجأة، أم فرحة مكبوتة، أم جميع ما رأيت؟ فرحة الشيء البعيد المنال رغم قربه الشديد، مثل فرحتي تماما وأنا أمد يدي إليه، ولم آخذ واحدة لنفسي، تبسمت من أعماق قلبي، وأنا أمد يدي إليه بسبت (الجيلاتي) وهو يأخذه ويبتسم فتبدو أسنانه البيضاء، واكتملت فرحتي وأنا أضغط على زر الكاميرا لألتقط أجمل صورة لهذا العام.

تعديل من خلال WPS Office

الكنز

هل تصدق الرؤيا فأكون من الأثرياء؟ هذا ما راودني وجدي يصطحبن وقت (العصاري)

ـ أمسكي يدي جيدا، هل فكرتي لماذا أخترتك بالذات من ضمن أحفادي؟

ـ لماذا يا جدي؟

ـ كل رسالة لأبد لها من نبي، وكل نبي لابد له من رسالة.

كنت أسير معه لا أفهم شيئا، ولا أسأل عن شيء، كل ما يشغل بالي أين مكان هذا الكنز ؟

ـ لقد جمعت كل ما أملك في هذه الثروة وكل ما ورثته عن آبائي وأجدادي، أخبريني يا بنيتي ماذا أنت فاعلة من بعدي؟

نظرت إليه بحنو وقبلت يده.

جدي يسير ببطء، يتوكأ على عصاه تارة وتارة يهش بها أي حيوان عابر، أو يقلب الحصي، تعجبني عنايته بنفسه حتي في أضيق الأوقات مثل الآن عندما طلبني للخروج، له بريق لم يغب طيلة عمره، وددت لو سألته عن أبي الذي لم أره مرة واحدة، فتراجعت، ثم سألته.

ـ أبوك كان أفضل مني حال، ورثته مع ميراث أجدادي، كنت أود لو ورثني، أيه يا بنتي " وأشتعل الرأس شيبا " تعجبت من قوته حينما حاول إخفاء بريق دمعه ومضى.

سار جدي نحو بيت قديم، التقط حجرا ضرب بيه زجاج (لمبة جاز)، صرخت:

ـلماذا تفعل هذا يا جدي؟

_ لا تسأليني عن شيء؛ فسرت في صمت حتى وصلنا لبئر وجد كلبا يطوف حولها، حاصره بحبل في عنقه، صرخت للمرة الثانية:

تعديل من خلال WPS Office

ـ الصبر يا بنيتي، سالت دموعي حزنا، يراودني شعور بالخوف من جدي لأول مرة، الشارع يضيق، جدي يأخذ عصا كبيرة يشبك فيها علما أسود وأسلاكا يسد بها الطريق، ثم يكتب على العلم "خطر" ويغرسها في الأرض في الأرض بقوة.

تنبهت لقبضة جدي علي يدي، فكرت أن أسأله عما لم أستطع سؤاله عنه قبل:

ـ أما كسر زجاج اللمبة، فكان لأبد منه حتى يسارع أهلها بتوصيل الكهرباء، والكلب يرسله أهل البلد للصيد فيجرح الطير وربما أكلوه وهم لا يعلمون، والعلم لأن قطاع الطرق يدخلون ليلا ويسلبون أموال الداخل والخارج وهم فقراء، فلو راو خطرا تراجعوا.

الكوخ ملئ بالتراب، عندما فتح الباب لمعت عيني وكل ما بالداخل يلمع أيضا، ياقوت وذهب، تذكرت مغارة علي بابا ـ وصناديق مغلقة، كيف جمع جدي هذه الثروة، أمسكت بالماس، جدي سعيد بوجودي بين كنوزه، الغرفة ذات طابق علوي، صعدنا الدرج الخشب المترب، شعرت أني دخلت (عالم ديزني)، ميكي وبطوط وعم بندق سيخرجون من أي مكان، الغرفة بها أثواب لم أر مثل ألوانها، سأرتدي فستان الأميرات، سأذهب للقاء الأمير وأحظي بقلبه، ويطلب من جدي أن أرافقه، ألعب وأمرح بين الأشياء الثمينة ، أقفز وألعب، ينتابني شعور الجوع، هل سأجد مائدة الأقزام السبعة؟

جدي يعطيني العصا كي يتمكن من فتح القفل، تبعثر التراب وأخذ يسعل بشدة؛ ففتحت عنه القفل أمسك بيدي وأضاء اللمبة، كشفت عن مكتبة هائلة ذات أضلاع ثلاثة ، طولها السقف وعرضها عرض الغرفة، مجموعات الكتب منسقة بشكل هندسي على الأ رض، بجميع أحجامها، لا أصدق ما أري، سألته عن الكنز، هز رأسه برفق وتبسم.

ـ عشت آلاف الأعوام بفضل الله وهذه المكتبة.

ـ وماذا افعل بها؟

ـ كل شيء يا بنيتي بشرط الوصول للكنز.

الهواء يضرب زجاج الشباك فيصطدم بالخشب، فزعت، قمت من حضن جدي الذي يمسك كتابه بحرص، وجلست ثانية حتى يكمل لي حكاية.

تعديل من خلال WPS Office

أبحث عنه

قل لي شيء يعادل الحب؟

هكذا تكلم الرجل، يحيط به ناس معدودون، ينظرون إليه بوجل، ملابسه الخشنة ـ أما زال هناك ملابسه هذه؟ اخضرار عينيه باهت يغلفهما جفنان مجعدان، وحاجبان كثيفان، لحية طويلة منقوشة بشكل كرات بيضاء في ثوب أسود، شعره مجعد وملتو، لا ينبئ عن عمره الحقيقي، كماه الواسعان، جلباب بلون الزرع وعينيه، حافي القدمين نظيفهما، تماما كالذي لم يبرح مكانه منذ أمد، تجمع بخاطري أسئلة، ألا يأكل؟ كيف ينام؟ شعرت بغضب.

يهز رأسه يمينا ويسارا، درويش في حلقة ذكر، يطوف عوالم ما وراء الجدران، يرتجف وتعلو أصوات الذكر، لا أميز منها سوي كلمة (الله)، يجرونه من ذراعه، يجلس مطأطئ الرأس، أحدهم يقبل يده:

ـ امنحنا البركة يا أبتي.

لا ينطق، يهز رأسه وتغوص عينيه في شيء لا يراه أحد.

أتقدم نحو شجر التوت وحشائش تنمو على الجانبين، كوخ صغير وجميل، له زخرفة قصر وحجم غرفة فيه، رائحة طيبة تنبعث من الداخل، لا أدري لها مثيلا، إنها تشبه رائحة الخوخ مع الحلوى المسكرة، المكان خال تماما، دب بين ضوعي الخوف، أزلت الوشاح عن وجهي؛ ظهر أمامي بملابسه المنقوشة، وجهه الصبوح، أصابتني قشعريرة، وبدت عيناه فرع أخضر، يميل نحو الشمس؛ يشرق وجهه، ابتسم لي وهمَ أن يمس

تعديل من خلال WPS Office

ذراعي ففزعت.

يجلس الرجل موليا وجهه أعلي قليلا، يسند ظهره لحائط قديم بجانب غرفته المفتوحة على الشارع، ليس ثمة أضاءه بالداخل، يتسلل إليها ضوء خفيف، الغرفة خ الية إلا من حامل زير، وكنبة في الجانب الأيسر، وحذاء ملقي علي الأرض لونه التراب، أترقبه، أريد أن ينهض أو يدخل الغرفة ؛ فأري هيئته، ويدق قلبي.

دخلت الحمام الدافئ، ذا الستائر البيضاء، والماء الساخن، لا يوجد حمام مثله، لماذا لا يسمي بالحمام الملكي، غير أنه الحمام، فتيات ونساء، لا يري منهن سوي شعرهن وملا مح باهته، بخار الما يعبق المكان، سألت إحداهن عن الشاب ذي الوجه الصبوح، لم يعرفه أحد، اهتزت أعصابي:

ـ كيف دخل دون أن يراه أحد؟

ضحكن النسوة وأخذن يتهامسن، فخرجت أتلفت، لم أجده، حتي أدرت ضهري؛ وجدته قبالتي، ألتقت أعيننا، وبدأ عزف جميل، ناي من أرق ما سمعت، تحسست وجهه فلم أتبينَ ملمسه، أرتجف، أسرعت للداخل، قالت عجوز:

ـ سكان هذا المكان كثيرون.

وتعالت ضحكاتهن ثانية.

خفت أن أضع ملابسي، نحيت ملابسي بعد أن غطاني الماء حتى عنقي، يظهر من آن لآ خر فأختبئ تحت الماء، خضرة عينيه تشعرني بالدوار فأسبح في عالم آخر.

أنظر، لا أجد للحمام أثرا، يحتضن بين أصابعه نايا من الخيزران، يمسك الناي بشكل أفقي يوجهه أعلى كتفه الأيمن، ويده اليسرى في منتصف الناي، يضع طرف فتحة الهواء علي حافة شفتيه السفلى، مع نفخ الهواء بهدوء وبطء، أستشعر عطر الهواء عبر رئتي، أصابعه تعرف الطريق الصحيح لمفاتيح الصوت، لا يبين من وجهه سوى خضرة عينيه، وسط كثافة الشعر واللحية، أردت أن أقترب، أسأل عنه، أتأمل أصابعه التي تغازل الناي بخفة، وانحناءة راسه قليلا، الناس الملتفون حوله معدودون، ينظرون إليه بحذر، صوته بالعزف لا يدل عليه، ولا تنكره عيناي، يتسلل إلي أذنيَ اللحن الرائق في عذوبة، موسيقى الناي.

تعديل من خلال WPS Office

غريب

أنا غريب والله العظيم غريب.

نظر إليه في صمت يتأمل وجهه المشرق، كلاهما في مقابلة الآخر، يفصل بينهما النهر، يعكس وجهيهما، يمشي في خيلاء محدقا في وجهه بنفس مشيته ويديه في جيبيه، إذا التفت يلتفت، وقف يقف، غير أن عينيه زرقاوان وبشرته صافيه وشعره مذهب بلون الشمس في الظهيرة، أخذ يضحك تارة ويميل تارة أخري نحوه، يتمتم بأنغام غير مفهومه، أصوات النوارس وزقزقة العصافير، يبتسم فيبتسم، يرفع رأسه قليلا يستنشق رائحة الياسمين المتساقط فوق شعره الذهبي بلطف، جمع بعضه وأخذ يلقي به في النهر كمن ينتظر أن تصب فكرة ما تمني، والآخر يرقبه من الجهة الأخرى، يلعب معه لعبة لقاء الفل بالنهر فيطفو علي وجهه، يغمز بعينيه فيغمز، يمشط شعره بأصابعه يظهر فرق رأسه، وجهه العائم في النهر وقامته الطويلة الممشوقة، يتعاظم الآخر فيتعاظم، يستظل خلف شجرة جانبا، موليا ظهره للنهر، ثم يقوم من فوره يستند للشجرة في مواجهة النهر، والآخر في مقابلته لا تفارقه الابتسامة.

يترقب الآخر الذي يخلع قميصه وحذاءه ويقفز في الماء، يختفي ويظهر، وهو يحاول أن يخلع جلبابه الأزرق، خلعه بعناء ويتلفت حوله، جلس ثانية يرسم أشكالا عبثية

تعديل من خلال WPS Office

بحجر بني، ويرقب الآخر في صمت، وقف يخلع حذاءه وإذا سمع أي صوت ارتجف وجلس، ظل يقف ثم يجلس ويقف، وتقدم نحو النهر الخالي من الناس، متجردا تماما، يعود يلتصق بالشجرة، يتقدم ويتقدم وبينما هو يضع قدمه في الماء، ناداه رجل بجلباب وعمامة:

ـ انت مين؟

ـ غريب.

ـ واسمك ايه؟

ـ غريب.

أخذ ينظر إليه من أعلي لأسفل، ويوبخه على فعله الفاضح في الطريق، وأتي آخر يتفحص منخاره الغليظة وقامته القصيرة وعينيه الضيقتين، وتجمع الناس حوله يريدون أن يبلغوا عنه ويصرخ:

ـ عايزين مني إيه؟ أنا غريب.

وأضاف أحدهم:

ـ واسمك إيه؟

ـ غريب.

وأخذوه من ذراعه، توسل إليهم ليتركوه يرتدي ملابسه، ففعلوا، يأتي آخر يسأل:

ـ اسمك إيه؟

ـ غريب.

ـ أنت من هنا؟

ـ أنا غريب، غريب، غريب يا عالم.

وأفلت منهم يجري وهو يلوح:

ـ والله العظيم غريب.

تعديل من خلال WPS Office

ساعة الحظ

تحتضن بين كفيها ورقة صغيرة برائحة (اللافندر)، ويحتضن بين كفيه ورقة صغيرة تحمل عبق الياسمين، الجدار الذي كان يفصل بين الرجال والنساء مهدوم، تقف الفتاة القصيرة عند شباك التذاكر تنتظر تذكرة (اليانصيب)، تقلب في يدها ساعة فضية اللون بها سلسلة رفيعة ينبعث منها رائحة الفل الذكية، تلمع في عين الشاب الوسيم الذي يقف بجوارها، يرمقها من حين لآخر، تعبث بالحصي وتصعد الرصيف المجاور تمشي علي المربع الأبيض وتتخطي الأسود، تذهب وتجيء والشاب يرمقها ثم يعود بناظريه للشباك الفارغ من العمالة، غير إن هناك لافته مكتوب عليها "اشتري حظك من الدنيا" ينظر الشاب بهاتفه بينما تسأله الفتاه عن موعد فتح هذا الشباك، ويخبرها أنه ليس له موعد محدد، وانها ساعة الموعود.

تعديل من خلال WPS Office

الساعة تلمع في ضوء الشمس تحركها الفتاه لعبة بندول، يتابعها الشباب في صمت حتى توجهت إليه بناظريها، أطرق للأرض، يزداد الناس شيئا فشيئا، والفتاه تذهب وتجيء يقابلها الشاب من الجهة الأخرى، يمشي على المربع الأسود تاركا الأبيض، حتى وصل لآخر مربع، فزعت وسقطت الساعة من يدها، يلتقطها الشاب بسرعة ويحركها بخفة أمام عينيها، تحاول أن تتناولها فيخفيها وراء ظهره.

ـ شكرا لك أعطني ساعتي.

يضحك:

ـ إنها ليست ساعتك.

ـ تكز على أسنانها.

ـ ساعتي أنت أخذتها.

ـيهز الساعة أمام عينها:

ـ من يضيع شيئا فهو لا يستحقه، إننا نملك الأشياء التي يمكننا الحصول عليها.

ـ أخذت تبكي.

ـ أعطني ساعتي.

ـ نتفق سأعطيك الساعة بشرط... وهو يلفهما بإصبعه فتفوح منها رائحة الفل، ينتظر كل منا حصوله علي ورقة حظه، فلم تجب وأضاف:

ـ إن كان حظك سعيدا سأعطيك إياها، أما إن كنتي من التعساء فهي لي.

ـ وإذا كنت من التعساء سأحصل عليها أيضا.

ـ أنا محظوظ بدليل أنني امتلكت ساعة فضية بها فصوص ألماس في أقل من ثانية.

تعود ترمقه بحزن، تجري حيث أطلال أشجار الفل، ترمي الأشجار ما تطرح من فل؛ فتزدهر الأرض كجنة بيضاء، تعبر بين الأشجار بمرح ومعها الجدة نور، تقول لها:

ـ خذي هذه آخر ما ورثته عن جدك وإن ضيعتها سوف يمضي الحب المجنون إلى قلبك بكل ما تملكين من حواس، لقد اشتراها جدك بكل ما تبقي من حياته كي يهدها لي.

تقفز فرحا، ترفع يدها نحو آخر شجرة بقت مزهرة بالفل تقطف واحده لجدتها، فتفوح رائحة الفل وتعبق الساعة وكلما هزتها أو أخرجتها تنبع منها رائحة الفل العاطرة.

تعديل من خلال WPS Office

تتنهد ببطء وهو يطوح الساعة يمينا ويسارا، تتنفس الفل وتدمع، شباك التذاكر ما زال مغلقا، واحد من الناس ينادي من بالداخل، فتخرج له بطاقة من تحت الشباك مكتوب عليها " علي كل من ينتظر أن يعلم أن هذا الشباك سيفتح لحظة واحدة غير معلنة الوقت ولو كنت أعلم متي ما انتظرت بالداخل حتي يؤذن لي" يتمتم الشاب بكلمات غير واضحة والفتاه لا تنطق بكلمة، فقط تترقب الشباك، يفتح فيندفع الناس مرة واحدة ويغلق فورا، تكرر هذا عدة مرات حتي خرجت ورقة أخري من تحت الشباك "لا داعي للتزاحم كل واحد له ورقة باسمه" يسكت الجميع ويتوجه الشاب والفتاه نحو الشباك، وبعد خروج الورق كلا باسمه، مضي الناس منشغلين بفتح أوراقهم، لا أحد يهتم لأحد، تفرق الجميع وأغلق الشباك في لحظة واحدة، والفتاة ورد تحتضن بين كفيها الورقة برائحة اللافندر، والشاب سعيد يقبض علي ورقته التي تحمل رائحة الفل ويضم الساعة بيده الأخرى، تفتح ورقتها في صمت وهي تعقد حاجبيها "محنة العاشق أنه لا ينسي أبدا" وترفع عينيها لعينيه فيفتح ورقته بنفس الصمت "كل شوق يسكن باللقاء لا يعول عليه" ويعود ينظر لعينيها.

تعديل من خلال WPS Office

موسم البرتقال

ثمة نسمة هواء عابرة تنسل من بين ثقوب الشباك المغلق، تحمل رائحة البرتقال، تستيقظ قطتها الناعمة، تداعب شعرها المبعثر، الراديو الذي بجانب السرير يعلو صوته عند الصباح "يا حلو صبح يا حلو طل" تنفض غبار الأمسية وتحتضن القطة متوجهة نحو باب المنزل، تضع أذنها علي الباب تسترق السمع وقطتها تتبعها، تظل واقفة لا تسمع شيئا، وقبل أن تدير ضهرها يدق الجرس، تفتح سريعا تجد برتقالة أمام عتبة الباب، تنظر هنا وهنا لا يوجد أحد، تأخذ حبة البرتقال فاقعة اللون، تتفحصها جيدا، وتعود تجلس على أقرب كرسي بجانب الباب، تقرب البرتقالة من أنفها تشتم رائحة زكية.

الولد الصغير يجري عبر حدائق البرتقال، يختار أفضل برتقالة عالقة من فرع مترام جانبا، يمد ذراعه يحاول الإمساك بالبرتقالة التي يريدها، يذهب ويجيء، الأرض مفروشة بأوراق الشجر الخضراء، يقفز أكثر ثم يمشي خارج الحديقة، يمسك بيد الرجل ذي العمامة البيضاء والجلباب البلدي، وعندما يصل لشجرة البرتقال يهز يده يطلب منه أن يأتيه بالبرتقالة، يأخذها ويختفي بين الأشجار، يدق بابها ويده وراء ظهره يخبئ البرتقالة، تفتح له الباب تبتسم بدهشة، تحاول أن تمسك بالولد، يعطيها البرتقالة.

_قلت لك أنا لا أتأخر عليك يا أمي.

ثم يغيب لم تعد تراه، فقط تجد البرتقالة أمام الباب، تأخذها وتتلفت خارجا لا تجد شيئا، تناديه، فتحتضن قطتها وتغلق الباب، تقلب البرتقالة في يدها، منقوش علي قشرتها "العاشق لا يعرف اليأس أبدا" تراه قادم نحوها.

_أحب البرتقال كثيرا كما أحبك.

تضحك.

_أتساوى أمك بالبرتقال؟

وتضمه.

تضغط يدها علي القطة فتئن، يعود الولد يجري سريعا، يقفز ويمرح، يختبئ وراء شجرة البرتقال الكبيرة ويخرج يبحث عن أجمل برتقالة، يتطلع إلي أعلى حتي تقع عينه علي برتقالة هناك في الشجرة المجاورة، يذهب ويحاول التقاطها، يصعد السلم

تعديل من خلال WPS Office

الخشبي الصغير ويمسك بها ثم يهبط بسلام، يتلقف البرتقالة لنفسه بيديه، ويمشي في تأن، يتمشى أمام العمارة يصعد السلم، يدق جرس الباب تفتح له، تشهق فيبتسم.

_قلت لك سوف لا أغيب كثيرا يا جدتي، ويختفي في لمح البصر، غير أن البرتقالة ملقاه أمام عتبة الباب، تأخذها بشغف، تقرأ النقش الذي يزين قشرتها السميكة "وللقلب المغرم"

_تعالي هنا وسأجلب لك البرتقال.

يجري يختبئ ، وتفتش عنه حتي تجده تحت طاولة الإفطار وتمسك به.

تتنهد وهي تطالع صورته علي الحائط في مواجهتها، يتراقص صوته كعادته كل صباح يغني، قبل أن تجلس إلي طاولة الإفطار يهديها قطته البيضاء الناعمة، تفرح وتتعهد له برعايتها دائما، يطوق عنقها من الخلف.

_قلت لك سأعود قريبا يا حبيبتي.

بعد ثوان يدق الجرس يقبلها ويذوب مع الهواء، لكنها تجد حبة البرتقال، قشرتها زاهية اللون لامعة، يتسرب عطرها جميع الأركان، تقلبها بين يديها وتقربها من أنفها، تشتم رائحتها بعمق، تقرا ما نقش علي قشرتها بعناية "كل الأشياء ممكنة" تتحسس النقش وتضم القطة إليها، تمسح علي فروها الناعم وتتساقط دمعتين علي وجنتيها، تستقبلهم القطة بفمها وتتدثر بحضنها.

تعديل من خلال WPS Office

موسيقي العشاء الأخير

النقطة الفاصلة بيني وبينها أصبحت أضيق، ما معني الغياب سوي الحضور! تتمثل أمامي بكل تفاصيلها الدقيقة، تجاعيد يدها وانكسار جفنيها قليلا، كانت تمر بلا صدي تتخبط بجدران المنزل، حاولت الإمساك بها وهي تحاول أن تقفز من (البلكونة) المرتفعة خمسة طوابق، يدور رأسي، ستسقط مغشيا عليها أسفل البناية وربما اصطدمت بزاوية الرصيف وتحطمت عظامها، ستنزف كثيرا ولا أحد يدري سوي بعد ساعات كفيلة بجفاف دمها للأبد، أو تصرخ فيسمعها أحد المارة، الأرض تدور مع دوران رأسي ويستحيل الرجوع، يدب الخوف بين ضلوعي، رائحة الشتاء تبعث الخوف، وجوه الناس، الجدران، الحديث عنها، شيئا ما يعصف بي، سأمنعها أو أحرضها بقوة، ستلتقي بمن تحبهم عندما تصعد للسماء، وستكون بمثابة فراشة بيضاء ترفرف حولنا، ستنتقي روحها شيئا آخر أكثر سموا، وستبكي عليها صديقة كانت تعلم أنها بحاجة إليها ، وربما يفتقدها عامل المقهى المجاور الذي كانت تجلس فيه دائما، تحتسي نفس القهوة، وتطلب سماع نفس المقطع "موسيقي العشاء الأخير" وتفر أوراق كتاب قديم عبر نوافذ اللاجدوي، عبق المطر يبقي في الذاكرة، وقت مشينا بشوارع الإسكندرية وعندما وصلنا للشاطئ سقط المطر، بلل معاطفنا وضحكنا بلا سبب، أخذتني لنكون في مواجهة البحر، يأخذنا الهواء وتتطاير قطرات الماء تعبر جفني بلطف، وكان علي أن أذهب معها أو تعود الي.

الخوف يبدد كل شيء، يعبث بخواطرنا المجردة، تتكسر أنفاسي لتضيق أضلعي، أشعر بها تتضاءل شيئا فشيئا داخل ثوبها الفضفاض، ستكون أكثر عرضه لتخلل عظامها الثلج ، بحثت عن قاموس لغتي، أتمتم بمناجاة صامتة، تمنيت أن يخرج صوتي، وهي مكبلة

تعديل من خلال WPS Office

أمام شرفتها، أمسكت يدها بقوة: السماء لا تبكي لموت أحد، ولا ينخسف القمر.

بكيت، كانت الدموع تكوي جفني، وتزداد شحوبا، تميل الأرض نحوي تارة ونحوها تارة أخري، الوقت يعج بملوك الجان، يرقصون علي بلاط الرياح، أشكالهم مخيفة أيضا رغم رقة صوتهم ونعومة خطواتهم، أسمع هسيس الأشجار، ينتفض عصفور أفاق من غفوته وأيقظ باقي العصافير: لماذا كل هذا الصغب؟ أيصدق أن هذا العصفور هو الذي يغني للصباح؟

يميل جسدها مع دوران الأرض، يقع قلبي في مأزقه ما بين إيقاع النبضات وتصلب جميع الأطراف، وعاد موج البحر يرتطم بصخرة بعيدة ونحن نبحث عن أصداف البحر الخفية، كانت المياه كريمة ترمي لنا بعض القواقع الصغيرة وبقايا قشور ميتة، حسبتها في بادئ الأمر تنتمي للصخور، إلي أن قررت أن أخوض التجربة وتحررت من حذائي، أمد قدمي بين ذراع المياه والموج الثائر، لم أشعر ببرودة، لكن القشور تجرني مع كل رجفة موجة تهز أعماق الماء، سقط النورس وعاد سريعا بسمكة في فمه، تابعته وهو يحلق عاليا ويهوي علي السمكة الصيد، يطير بعدما امتلأ بفرحة الانتصار خلسة ثم يعود منتصرا، شعرت ببرودة قاسية محملة بنشوة الشمس الحارقة.

أحيانا يكون لفعل التنفس وقع آخر غير الحياة، هو أن تدرك أنك حي فعلا، تتلاحق أنفاسي المتتابعة بعناية، أتجاهلها وأتمعن في شحوبها وذبلان الورد المنقوش علي ثوبها، حزن عميق، ينطفئ ضوء نجمة هناك، سألت عن غياب قمر ليلة الرابع عشر، وعن سندباد البحر، رأيت جنديا يرفع قبعته منكسرا، ورجلا أشعث الشعر يدور حول نفسه، وأميرة تمسك بعصا سحرية، وبساطا فارغا حملني عبر الهواء، أمر مر السحاب، فردت ذراعي وأغمت عيني، حتي امتلأت رئتاي بالهواء النقي، إنني أطير، صرت طفلة بثوب أبيض، البساط يدفعني بقوة نحو المستحيل والجنون، أبتسم وأبتسم، ثم هبط البساط فجأة، فجذبتها من أمام الشرفة بنفس القوة الجارفة، واختبأت أتدثر بغطائي.

تعديل من خلال WPS Office

شؤون صغيرة

ـ لطالما أحببت الأشياء الصغيرة ولم يحالفني الحظ في نيل واحدة.

قالها الرجل الواقف تحت إشارة تقاطع الطريق، عندما اقتربت منه، أتأمل ملامحه الداكنة وغيمة حزينة تملأ عينيه، سألته لماذا يقف هنا؟ وعرفت أنه ينتظر مرور السيارات حتي يعبر الشارع للجهة الأخرى، وأنه يقف منذ سنين لا يعرف عددها، وليست لديه الرغبة في فعل شيء سوي الوقوف هكذا، تعجبه ألوان السيارات ويراقب تحركات المارة، وما يخيفه هو نزول أحدهم من سيارته فجأة أو عبور أحد الشارع أثناء سير السيارات، الوحيد الذي يأمن له هو عم فرغلي بائع الحلي القشرة في (فاترينه) زجاجية خلفه، وكان يقول عم فرغلي لا يبع القشرة باعتبارها ذهب، ويرفع رأسه قليلا فأرفع رأسي أنظر ما يراه.

السماء تعزف إيقاع الصمت، سكون القمر يجعل النجمات تتفرق من حوله، ابتسمت له في صمت، وراودني شعور أن أكمل مع كل الضوضاء التي تعج حولنا، ألاحظ حركات عينيه تدور في فلك لا أستطيع تحديد مداه، وتعجبت من ثيابه الرثة، وكوفية عنقه الرمادية، وعدت أساله:

_ألم تزعجك ضوضاء الشارع والازدحام؟

_وماذا تعني هذه الضوضاء مقارنة بما يملأ النفس؟ كل صباح أحاول عبور الشارع وأجاهد قدر استطاعتي، المسافة بعيدة للغاية، وجارتي فاتن تجيد الثرثرة صباحا، تحمل لي الشاي وتدعوني لإفشاء كل أسرارها، وأنا أهز رأسي ولا أعلق بشيئ.

تعديل من خلال WPS Office

يشرد في لمحة.

_كانت تنهي الحديث أولا.

_فاتن؟

يهز رأسه.

_ابنتها بثينة.

وعرفت أنه كان يدرس لها الفلسفة، أترقب تقدمه إلي عبور الشارع، ينظر يمينا ويسارا، يعود ثم يذهب مرات عديدة وعندما أنظر اليه:

_لم يحن الوقت بعد.

تعجبت أكثر وانتابني شعور أن أتراجع، لكني بقيت، وددت لو بقيت معه طوال الليل أتابعه عن بعد، تري ماذا تعني له لحظة تحقيق ما يرنو إليه، تعمق بناظريه في عيني، هناك شيء غامض يشدني إليه بقوة كموج البحر ويتركني إلي شكي الذي لا ينتهي بيقين، حتي تسلل الي مسامعي عالمه الصامت، لا أسمع ضجيج الشارع، فقط أصغي إليه:

_أحب سماع الكذب وأود التصفيق لمن يصنع كل هذا الطرب، كم تشبهين عينيها!

أصابني تقلص بداخلي وصمت، ماذا تعني الغيرة إن لم تكن لأجل الحب؟

بثينة تعطيه قلم يحتفظ به ويذكرها بعد سنوات قد نسيتها، تمضي سريعا وهي تفتح باب (الأسانسير) لتصعد إلي منزلها دون أن تكمل ما كان يود سماعه، ويبقي علي انتظار حتي تفسر له كلمة لا تلقي لها بالا قالتها في إحدى دروس الفلسفة، يترك لها مذكرات الدرس وكلمة وسط الكتاب، أظنها لم ترها عندما اخذت منها الكتاب ومزقت الورقة "احبك" .

كيف أقابله بعد كل هذا العمر؟ شعره لم يتغير كثيرا تكسوه سحابة بيضاء، عيناه المكدستان بعبق الزمان ورسائل لم تكتب لي، تقدمت نحوه في هدوء، لم يلتفت لي أو لا، قضي وقتا طويلا في التفكير وما أسعدني أنه لم يتعرف علي، فكرت أن أناديه باسمه مثلما تمنيت طيلة عمري، لكني سكت، اكتفيت برؤيته يتحدث، أخبرني أنها تنتظره في الطريق المواجه وأنه سيعبر الشارع ويذهب معها، وكل ما يخيفه السيارات، ستصدمه إن هم بالفعل ولا بد من إخلاء الشارع تماما حتي يعبر بأمان:

_الوقت يقتل آمال العابرين يا أستاذ.

تعديل من خلال WPS Office

كنت أود معرفة وقع هذه الكلمة عليه، لكنه تظاهر بعدم المبالاة أو هو كذلك، لا أدري، أستمع بعناية، يهتز كياني وهو يدمع:

_أكان علينا أن نخبئ الورد؟ أكان لابد من السلام؟

ويرفع عينيه، أترجم تفاصيل إيماءاته بعزف منفرد يشبهني، كدت أصرخ في وجهه: تحدث.

كنت أخاطب ميتا، وهو الحلم الذي أتاني في يقظتي، أذكر نشاطه الدائم في مدرسة البنات الثانوية، والتفاتهن جميعا حين يمر أمام الفصول، عطره يعبق بأنوفهن، أناقته، صوته الهادئ الذي يخالطه الخجل تارة والغرور تارة أخري، أتساءل عن هذا التناقض، وأسئلة أخري أردت أن يجيبني عنها، وهو كلما التفت إلي:

_كانت تنهي الحديث أولا.

كم عانيت الكثير، غافلته والتقطت له صورا من عدة جوانب.

مشاعر الفرح قصيرة وغير متوقعة، لأول مره أدرك معني دموع الفرح، وأنا أدون كلماته في مقالي بدقة وأحفظ ما يقول عن ظهر قلب "كانت تنهي الحديث أولا"

تفكرت كثيرا ولم أصل لشيء، غير أني أحمل هم عبوره الشارع.

تعديل من خلال WPS Office

بائع الحكايات

"انت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع"

قرأت اللافتة عدة مرات وفي كل مره يزحمني هذا الرجل ذو الملامح الصارمة، وأنا ألكزه دون النطق بكلمة، يتطلع لأوراقه ويداري يده بنفس الطريقة مثلما كنا نفعل في ا لامتحانات، أمينه صديقتي تكتب جميع أسئلة الامتحان ثم تطوي ورقتها ولا نستطيع أخذ كلمة منها، أستاذ حمدي يتطلع إلينا في حذر متجاهل ما يحدث حتي تخرج أمينه يمر بيننا يلقينا بنظراته الحادة، تجرأت في أحد الامتحانات وتركت له رقم هاتفي علي ورقة الأسئلة، منذ ذلك الوقت وأنا أجتاز أي امتحان وإن لم يكن هو المراقب، رغم قوته في مادة الأحياء كان لا يسمح لأحد بمجرد الهمس في مادته، وأدي إلي رسوبي في مادته تلك إلا أمينه صديقتي لأنه كان يذاكر معها في المنزل، وعقب رسوبي ودعت آخر نزواتي معه بعدما أعلن خطبته من أمينه بعد ظهور النتيجة مباشرة.

ابتسمت للرجل خفية خشيه أن يراني، وهو منهك في قراءة أوراقه، صف الرجال مزدحم بشدة لا أستطيع التنفس، وصف النساء صغير لكن الرجال لا يتركون لهم مجال

تعديل من خلال WPS Office

مثلما كنت أتوقع، أيضا لا يزحمهن الرجال بل ما رأيته هو التصاق الرجال بشيء يجلب الاختناق، خرجت من الصف أعدل بدلتي الزرقاء، وأنضم إلي صف النساء وعندما وقفت بجانب إحداهن صرخت وخلعت حذاءها تضربني، أتحاشى ضرباتها بذراعي ولا أستطيع الحديث وسط صياح مفاجئ لباقي النساء والتفات بعض الرجال وسب أحدهم، ولولا مناداة البائع لكنت في قسم الشرطة الآن، أعدل هيئتي وأنا أقف في منطقة محايدة بينهم، فتجاهلت الجميع وأخرجت ورقتي من جيبي أتظاهر بالقراءة، أرتجف وهذا الرجل ذو الجلباب الأبيض يقترب مني، لا يحمل ورقا ولا يحاول الازدحام ، كل ما فعله هو التمتمة بألفاظ غير مفهومة، كل ما فهمته منها "لتقدس اسمك، ليأت ملكوتك" تركت استراق السمع إليه وتطلعت للبائع الذي يقف علي منضدة عالية خشبية، يشير بيده.

ـ من يرد شراء حكاية يأت يسارا، ومن يرد بيع حكايته يأت يمينا، ومن يرد استبدال حكايته بحكاية أخري يقف بالمنتصف، بشرط عدم الاستعجال حتى يتم تقييم الحكايات.

ارتبكت الصفوف وأنا لا أستطيع الحراك لا هنا ولا هنا ولا أعرف ماذا أفعل؟ وأين أقف؟

انتظم الجميع سريعا، وبقيت أنا في مكاني، تغمز لي فتاة من الجانب الأيمن، أصابني خجل لا أعرف له أسبابا، وغمزت لها وهي تضحك، لا أكذب أعجبتني اللعبة وقررت أن أكمل ما بدأته الفتاه، فكثيرا ما فعلنا هذا أنا وصديقاتي مع الشباب الذين يحبونهم وفي كل مره يخضع لنا ويقع سريعا ومن ثم ضمه لقائمة من لا يصلح للحب، غير أن عمر صديق أخي وحبيبي الأخير لم يسقط بسهولة عندما حدثته صديقتنا هاله وأظهرت له إعجابها وحبها، أصبح ينام مبكرا وكنت أعلم أنه يسهر معها، أقضي الليل أكفكف دمعي وأقرر محوه من حياتي نهائيا، اتنفس بعمق:

ـ لماذا يعتصر قلبي الألم؟ إن محاولة النسيان تدعو للتذكر، لا تدع لنا خيارا سوي الحزن، والحنين لا يعود بأحد.

أخرجني من هذيان هواجسي رجل متوسط الطول والحجم، أخذني في طريقه وهو يلقي حكايته في الصندوق الخاص بالشراء، تمنيت أن أتفحص الحكايات جميعا، ومر الرجل جانبي، كان يحمل كتاب ضمه اليه "سفر الخروج".

وضعت يدي في جيبي أنتظر شيئا ما لا أعرف ما هو، دقات قلبي تتلاحق عندما يأتي مروان ومعه "كتاب الحب" الذي أهديته له في عيد الحب الماضي، طوي فيها حكايته ووضعها في صندوق استبدال الحكايات، وأخذ يفتش عن البديل، تجاهلت النظر اليه بدمع ذارف، وصرخة ليست من شأنها الظهور، لقد حمل عني هم نهاية التجربة دون

تعديل من خلال WPS Office

عناء، كان يبهرني بقصائد نزار قباني الذي يحبه كثيرا، وشغفه بالعزف علي الجيتار، أدركت للحظة أن حكايتي لم تكتمل بعد وعلي أن أذهب لأعدل أشياء وأشياء تتداعي دون انتظار، ولكني جمدت مكاني مثل دمعي، وعاودت النظر للافته "أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع"، وآخر يزاحم من جديد ويلوح بيده:

ـ أستحلفك بالإمام علي أن تأخذ حكايتي.

لا أفهم لماذا رفض البائع أن يأخذ حكايته؟ بقيت أتابع ضحكات النساء وثرثرتهن المبهمة حتي عاد نداء البائع، أشار أن جميع الحكايات ستذاع علي الملأ وستعرض في منتدي عام بعد انتهاء البيع، حدثت ضجة فارغة وتلعثمت الألسن، ورجال يضربون الأ كف بعضها ببعض، وهم الجميع باسترداد حكايته "ولات حين مناص" أخبرهم البائع أن الحكايات لا ترد، وانصرفوا متخبطين، أدرت ضهري أنزع قبعة رأسي وأطلق صراح شعري للهواء، وعدت "لا شيء معي سوي كلمات".

تعديل من خلال WPS Office

سبع سنين عجاف

الصباح يطبب أرق الليل ويطرد غبار العتمة، ثمة فراشة تطبطب على القلب وتمسح دمع الجفون، لا أحد هنا سوي نسيم عابر يدخل خلايا الروح فيجد ضالته ويتمادى في الغياب.

تنهدت في سكون أفكر أن ارسال هذه الرسالة ثم أمحوها وأعود أكتبها، أفتح صفحته أقرأ كل ما يكتب بدقة وتعليقات الأصدقاء، أعرف متي يستيقظ ومتي ينام من تلك الإ ضاءة الخضراء، وأشياء كثيرة، أغلق شاشة الهاتف، أتأمل منظر النيل والشروق المعبأة بأسرار المساء، وأعود أفتح صفحة (الفيس بوك) الزرقاء، لا أدري لماذا هي زرقاء؟ لماذا لم تك وردية أو بنفسجية؟ كانت ستصبح أكثر رقة، وربما لا، يكسو ملامحي شيء من الحزن، أنفاسي جاءت دافئة رغم برودة الجو وأطرافي، الإضاءة خضراء وسأرسل الرسالة، شيء ما يمنعني، تسلل إلي أنفي رائحة دخان التبغ.

ـ أحب رائحة التبغ لأنها بمثابة أثر يأتي بك.

ـ السفر لا يترك لي سوي التدخين وصورتك البريئة.

ـ ولماذا السفر؟

ـ ليتني أستطيع الإجابة على ها السؤال، كل شيء يصبح قاهرا عندما يتعلق الأمر بلماذا ؟!

أخرجني من هذيان نفسي عامل (الكافية) يسألني ماذا أريد؟ طلبت عصير الرمان الذي يحبه وتابعت بنفسي مصدر دخان التبغ، رجل يجلس إلي الطاولة المجاورة عن يميني، يشبه ممثل أجنبي لا أذكر أسمه بعينيه الخضراوين وشعره الفاحم، يقرب السيجارة من فمه بشموخ، أشعر به يتكبر عليها ويشعرها بدونيتها، متفضلا عليها فهو من يملك أن يشعلها او يطفئها وربما يشتهيها بقوة، أخرج قلم من جيب (جاكته) البني كتب شيء في نوتة صغيرة، ثم أشار للعامل وأعطاه الورقة.

من هذا الرجل الذي يترفع حتى عن الحديث، وما الذي يشغلني به؟ يطرد دخان التبغ برقة فتتطاير عبر الهواء، تصل إلي محملا بعطره الفرنسي الرائق، تمنيت لو أعرفه أكثر،

تعديل من خلال WPS Office

أعرف ما يدور برأسه ـ هذا النرجسي ـ ومن ينتظر؟ لا أظن أنه يحتمل الانتظار، أنا لا أتحمل الانتظار أيضا؟ ولكني أظن أنه من تبعيات لماذا، أطلقت تنهدي ثانية وأنا أطالع صفحته النشطة.

تهتز السفينة بفعل أقدام أناس قادمين في ضحك ومرح، شباب وفتيات يرتدون الزي المدرسي وأرتفع صوت موسيقي "مونا مور"

ـ حبيبي لماذا لا تحب الموسيقي والشعر واللوحات الفنية؟

ـ لأني أحب أشياء أخري.

أشعر بحنين كبير تلك اللحظة وأتوق لمراسلته، والرجل الذي يدخن في صمت يقف يستقبل فتاته بحفاوة لم أتوقعها.

انتبهت لفتاة جامعية تطلب مني الجلوس معي حتي لا تكون بمفردها، رحبت بها وقلت في نفسي سنتبادل الحديث ونتعارف وأسخر من الوقت الذي يتلاعب بنا، وضعت أوراقها علي الطاولة وأخرجت الهاتف من حقيبتها، فعرفت أني واهمه، جميعهم منشغلون.

أتي العامل بالعصير وسأل الفتاه نفس السؤال المعتاد، أشارت له بيدها دون اهتمام، شكرته وأخذت أتأمل ملامح الفتاة تتحدث لا أسمع شيء سوي همسات، أتعجب من هؤ لاء حديثهم مثل صمتهم، تغلق الهاتف ويعود يرن في اللحظة نفسها وتواصل الحديث، وعن يميني هذا الرجل الذي أثار إعجابي يمسك بالورد ويقترب من الفتاه يأخذان صورة (سيلفي)، والفتاة تغلق الهاتف ويرن ثانية، بقيت في حيرة أرسل اليه الرسالة أم لا؟ أتابع تواجده وأنظر لصورته في الدردشة:

ـ تذكر يا حبيبي يوم ألتقينا؟

ـ الذكريات لا تعني لنا الكثير إن لم تصبح واقعا.

يشتد الهواء، يداعب أهدابي، يعصف بي، شعرت أن روحي جوفاء وأني أحتاج أي شيء يصلني منه حتي أصدق أنه قادم، وأن كل ما مضي كان حقيقيا ليس حلم من أحلامي به كل يوم، مضي سبع سنين يا حبيبي، طال انتظاري وسأرسل إليك الآن، فتحت صندوق الرسائل أقبل أسمه وصورته بعيني، في نفس الوقت أتي شاب وأخذ الفتاه التي كانت تتحدث بالهاتف.

لم أتلق ردا فقط انطفأت العلامة الخضراء.

تعديل من خلال WPS Office

كأس وليل يناير

إحدى ليالي يناير الباردة، جلس هذا الرجل في أخر ركن بقهوة عم عبد الوهاب، يخرج علبة تبغ صفراء، يدخن ويطالع الزجاج في صمت، ينفث الهواء سريعا، يطيل النظر إلى مسرح (عالمة الزمان) المحاط بأضواء تشبه النهار، وهذا الرجل يشرب جرعة ماء من كأس بلور أمامه، وأخري حتي تصل إلى المنتصف فيتركها، مركزا ناظريه بحدة نحو الكأس، ملابسه خفيفة تناسب فصل الصيف، أصلع الرأس، له لحية ناعمة ـ تتطاير من خفتها ـ طويلة حتي أسفل صدره، عاد ينفث الهواء من سيجارته الحمراء مركزا عينيه خارج الزجاج، يدفعني الفضول لمحادثة هذا الرجل أشعر أنني أعرفه ولا أتذكر من هو، كل ما أعرفه ارتبط به بطريقة ما، وجلست بالقرب منه، تجرأت أكثر وجلست أمامه، المغامرة تستحق الجنون أحيانا، أخشي أن أزعجه ولا أستطيع تركه، نظر إلي.

ـ منذ أعوام لا أعرف عددها وأنا أحاول معرفة الفرق بين نصف كأس فارغ وآخر ممتلئ ؟ حاولت مزجهم وفي كل مرة يصبح الفارغ ممتلئا والممتلئ فارغا.

تعديل من خلال WPS Office

لم أقطع حديثه لكنه سكت، وبقيت على صمتي، كنت أحتاج إلى من يسمعني وأحكي له ما بداخلي دون خجل أو لوم، كنت أريد أن أقول له لا أثق بالنساء، خبأت عيني بيدي وقد فقت من سكري للتو، هذا الرجل أنسب من أبوح له دون أن يؤذيني، قلت له سريعا:

ـ يا أبي.

فتبسم ضاحا خفت أن أكون قد أخطأت.

ـ يا فتي هل ناديتني بأبي؟

ـ أسف.

ـ أنا لا أعرف إن كنت أباك أو لا، بل لا أعرف شيئا.

تماديت في صمتي وضحكت أيضا، أحدنا كان مخبولا.

ـ ما أسمك؟

ـ ألم يبق إنسان دون اسم؟!

طوح يديه وأضاف:

ـ أنا لا أعرف لي اسما ولا أعرف عني شيئا وسعيد بهذا، عشت ثلاثة قرون لا أذكر منها شيئا، تحرير المرأة كان كافيا لبقائي هكذا وبعد توليها رئاسة الجمهورية العام الماضي 2026 وشكلت وزارة نسائية، ماذا تريد المرأة أكثر؟

كل هذا وأنا صامت، أعدت عليه نفس السؤال؟ ضحك ثانية وأشار إلى لحيته.

ـ كل شيء سيعود لسيرته الأولي.

أحببت حديثه رغم أني لا أفهم شيئا، وأخذ يقلب الكأس بيده.

ـ كنت قاسم أمين قبل.

فعقدت حاجبي ودار رأسي.

ـ وماذا أصبحت؟

ـ أمين ولكني لست بقاسم.

تعديل من خلال WPS Office

أدركت حينها أنه مجنون وأنه يجب أن أرحل، فلدي موعد مع إحدي صديقاتي التي تعرفت عليها من قليل، باب المسرح لا يغلق ليل نهار، والعجيب أن سيجارة الرجل لا تنتهي، ينفث الدخان بمتعة ويتناسى وجودي مثلما ينسي كل شيء، وأنا لا أعرف أين أذهب؟ مللت النساء، الطعام، الأصدقاء.

ـ هل تعيرني ذاكرتك وتأخذ ذاكرتي قليلا.

قال بنفس هدوئه.

ـ وماذا تستفيد من ذاكرة فارغة؟

فسكت.

ـ وما يدريك لعل ذاكرتك أرحب وأفضل، وقد لا تتحمل عبء رجل مثلي.

ـ أراك بحرا ليس به مد ولا جذر.

ـ أنا لا أفهم شيئا يا أبي.

فتبسم ضاحا.

ـ كن هكذا دائما، هذا أفضل.

وأخذ يتطلع من خلف الزجاج، والتفت إلي.

ـ أنا لم أنجب كيف أكون أباك.

وسكب قليلا من الماء علي الطاولة وتلمسه بأصبعه وزاغت عيناه.

ـ لا أستطيع الإمساك بالماء.

يهرب مني وحزن بشدة.

كانت ليلة سوداء وقد شعرت لأول مره بمشاعر تجاه هذا الرجل حتى تهيأ لي انه يضمني ويقبلني، وأنه وسيم جدا، يرسم أشكالا بقطرات الماء المبعثرة على الطاولة، طلبت من العامل فنجان قهوة فأخبرني أن هذا الرجل يكره الألوان وخاصة الغامقة وعلي من يجلس معه أن يحترم خصوصية جلسته، هززت رأسي، أخبرني أيضا أن الحساب اليوم عندي لأني من جلست إليه، تبسمت في صمت، فأنا لا أملك أي مال وتأكدت أنها ليلة سوداء، انصرف العامل وشعرت ببرودة تنبعث من سيجارة الرجل، قلت له حتى أقطع صمته:

ـ ماذا تفعل؟

تعديل من خلال WPS Office

انزعج.

ـ يا بني كدت أمسك بقطرة ماء.

فتبسمت.

ـ أنا ليس لي أب.

وأمسكت سيجارته التي لا تتآكل، فوجدتها قلم مطليا علي هيئة سيجارة وسنه مضيء كشرارة، ولكن من أين يأتي الدخان؟ شيء غامض في هذا الرجل، يجلس وحيدا في الركن الأخير من قهوة عم عبد الوهاب، يتطلع من خلف الزجاج، يسبح في ملكوته، يخرج النساء من المسرح ويتبعهن الرجال، وتذكرة المسرحية قبلة احترافية، لذلك أنا لا أستطيع دخول المسرح أبدا، عرفت نساء بلا حصر ومع هذا لم أقبل واحدة في عمري.

وأثناء حديثي مع نفسي هم الرجل بالنهوض، أخذ مني القلم أو سيجارته الحمراء وأمسك بالكأس، سكب الماء بعيدا ووضعه في ركن ومضى، تابعته حتى اختفي تماما عن ناظري، وبقيت أنا أنتظر زائرا يجلس معي كي يدفع الحساب.

تعديل من خلال WPS Office

يعيش الملك

ـ سوف لا أسقط إن مسكت بيدي.

قالتها ليزا البيضاء وهي تصعد المربع الأسود، أخذ يدها العسكري الذي يقف أمامها حتي استقرت، تطرد زفرة أنين، الملك داخل هودجه الحريري ينتظر انتظام الجيش "ملك الشمس" ومعه الوزير "ما زران" والفيلة البيضاء تتقدم، ويقفز الحصان سريعا، يصهل بقوة وقد اصطف الجيش العسكري في الأمام، أخذت ليزا تصعد، وفيلة أخري وحصان قوي، وأفسح مازاران المكان للملك، الجو حار والجميع يتصبب عرقا، غمز الوزير للملك وأخذ يهمس إليه والملك يضيق عينيه ويهز رأسه، هنا تقدم الوزير الصفوف ذهابا ومجيئا بشموخ.

، ليس المهم أن تكون علي حق حتي تنتصر، فقط إيمانك بهذا "في مسائل الحب و الحرب كل الأسلحة تخلف جروحا" "كل شيء مباح في الحب والحرب" "وفي الحب و الحرب يقتل الأبرياء دائما" "أحمل قلبك معي" "حيث "لا يوجد سبب لتقديم العزاء" ثم عاد لموقعه.

تعديل من خلال WPS Office

والجيش الأسود يستعد أيضا وبعدما اصطفت الصفوف تقدم الملك وبعدما خرج من قلعته، أخذ ينظر إليهم بحدة.

ـ "أخلص تنل" "إنكم لا تقتلون عدوكم بعدة ولا عدد، ولكن تقتلونهم بهذا الدين فاذا استويتم أنتم وعدوكم في الذنوب، كانت الغلبة لهم "في الحرب كما في الحب لا بد من المواجهة" "والله أني لأستحي من الله أن أبتسم وإخواني هناك يعذبون ويقتلون" وتذكروا "الاطمئنان إلي أحد قبل الاختبار حمق".

أخذت أفرك عيني وأن أري قطع الشطرنج تتحرك وتتكلم، وصديقي يسألني عن سبب التحديق؟ منشغلا بوضع القطع على المربعات، تارة أستقر علي اللعب بالأبيض ثم أبدل للأسود، حتي قام صديقي وقلب اللعبة.

تعديل من خلال WPS Office

إجازة الدنيا

أول شيء أفعله في الصباح أشرب كوب شاي غامق، توجهت للمطبخ لم أجد شايا ولا سكرا، ناديت أمي أحد أو أحد أخوتي لم يكن هناك أحد، أرتدي ملابسي علي عجل، هاتفي في يدي أتصل لا يوجد رد، ماذا حدث؟ اشعر بالجوع أيضا والجو باردا، أسرع، أهبط السلم، وعندما خرجت من باب العمارة الجو كان رائقا، خلعت (جاكتي) وبقيت بقميصي الأبيض، أعبر الجهة الأخرى، أمشي حتي أجد مواصلة لمحطة (المترو)، لا يوجد مواصلات والشارع خال تماما حتي من الحيوانات، مشيت حتي أقرب محطة (مترو)، المحطة خالية وشباك التذاكر مفتوح ولا يوجد أحد أيضا:

ـ أعمل إيه بس اتاخرت؟

عبرت الممر حتي رصيف (المترو) كان متوقفا ولا أحد أيضا، الباب مفتوح، عندما ركبت أغلق الباب وانطلق (المترو) أخذت أتلفت لا يوجد أحد، شعرت بالخوف وكأني مختطف وعند محطة سعد زغلول فتح الباب وجريت علي الرصيف، ناديت بأعلى صوتي:

ـ في حد هنا؟

رد علي رجع صوتي والمكان نظيف وله رائحة تشبه الهواء بعد سقوط الأمطار، تمشيت قليلا وتوقفت:

ـ "منين أجيب ناس"؟

وضعت يدي علي عيني ورفعتها، بدأ العرق يتصبب من جبيني، ومشيت أحاول الا تصال للاطمئنان عليهم في المنزل، لا يوجد رد، حتي زملائي في العمل لا أحد يجيب، خرجت منها مثلما أتيت بلا تذكرة، الطريق مفتوح و(المترو) متوقف، كدت أبكي لا أحد يسمعني، قدماي تؤلمانني وأشعر بالجوع، العطش يغزوني، هناك مطاعم و(كافيهات) مفتوحة بلا أناس.

، يا ناس..

دخلت مطعما وخرجت فورا، رغم رائحة الشواء قد فقدت شهيتي ولم أعد بحاجة

تعديل من خلال WPS Office

لشيء سوي أن أجد إنسانا بشريا واحدا يخبرني ماذا حدث؟ أو يؤنسني، لمحت ذيل قطة فناديت:

- بس بس بس..

وجريت وراءها كانت لا شيء، سوق الخضار والمشترات مفروش ولا أحد يبيع.

- مفيش حد.

أحتقن صوتي وتسلل الخوف إلي قلبي، أرفع رأسي للسماء زرقاء كما هي، يا الله قد وصلت الوزارة وقد نسيت أي وزارة أنا موظف بها، أتجول بين الوزارات والشوارع جميعها فارغة مشيت بتجاه معاكس سيارات فارهه علي جوانب الطريق ومحلات مفتوحة بلا أناس.

- يا ناس..

- يا ناس "منين أجيب ناس"؟

موكب لمن يا تري؟ هل سيمر الرئيس من هنا؟ وإن كان.. ما علاقة الفراغ بذلك؟ ثوان معدودة كفيلة بقتلي علي تلك الحالة، أفتح الهاتف أحاول الاتصال ثانية، لا يوجد رد، وشبكة الانترنت متاحة مع أنني ليس لدي باقة.

- إيه اللي بيحصل؟

مشيت كثيرا ونفس الحال، قلت أغير الشارع ربما أخلي هذا المكان بالذات ومشيت، ركبت أحد (الميكرو باصات) المركوبة جانبا وانطلقت سريعا دون سائق، ارتجفت، رحت أتلفت في جميع الاتجاهات وبعد أقل من ثانية توقفت، نزلت سريعا، المكان خالي أيضا، تمنيت أن يدق هاتفي يحادثني أحد الذين لا أجيبهم يوميا أو ألتقي بأحد أكرهه أي شيء ولا يوجد أحد وبعد مسافة قليلة علي مد البصر رأيت لافته كبيرة مكتوبة بـ الذهب، اليوم إجازة الدنيا، شحبت أكثر وتساءلت:

- وأنا ليه مش في أجازة ويعني إيه أجازة الدنيا؟ يا رب ساعدني

كنت أدعو بلايقين، ولا إيمان بشيء، المساجد والكنائس مفتحة الأبواب ولا يدخلها أحد ولست بآدم حتى أجد حواء في أي مكان أو يوسوس إلي شيطان أو تساعدني الم لائكة، ومشيت بلا قلب يدلني ولا عقل يهديني، بلا نفس، ظننت أنني أيضا في إجازة وهذا ليس أنا بل سراب يمشي علي هيئتي أو أنني مت وهذا مصيري او أن عقلي شطح فهو يري هذه الأشياء وأنا ضحية له، تتساقط دموعي متلاحقة حتي بللت قميصي، ظننت أنني ذهبت لكوكب آخر بالخطأ.

- يا رب..

نسيت حتى الدعاء، بماذا كانوا يدعون حتي يستجاب لهم؟ جوعي وعطشي يتزايدان

تعديل من خلال WPS Office

وليس لدي شهية، تري ماذا سيحدث بعد قليل؟ هل انتظر يمر اليوم وتعود الدنيا، وما معني إجازة الدنيا؟ هل ماتت الدنيا؟ جلست علي الرصيف أريد أن أغفو حتي ينتهي اليوم وأستيقظ فأجد أي إنسان، أو حيوان، أو طائر، أو حشرة، وأنطفأ الصباح فجأة وحل الليل ثم عاد الصباح.

تذكرت كابل النور في المنزل وبحثت عن مثله، يطفيء الصباح فيكون الليل.

ـ إيه الجنان ده؟ لو انطفا الصبح هموت من الخوف وإيه يعني لو مت؟ هكون في مكان تاني زي دلوقتي كده، معقول؟

هناك طائر مر سريعا فوق رأسي أنه الغراب، لماذا لم تأخذ إجازة؟ أم أنك مثلي لا تعلم ونسيت معي، وفر بعيدا، كنت أكرهه لابد أنه غاضب، ومر طيف فتاه بيضاء مشعه بردائها الحريري ورائحة الورد جريت وراءها لم أجدها، تظهر وتختفي، أتكون حواء التي ستعيد الحياة من جديد؟ ليس لدي يقين بشيء، ربما تهيؤات، أشعر بالمرض، أشعر بماذا؟ ماذا كانوا يسمون هذه الحالات؟

ـ آه.

صرخت وصرخت فشهقت مع الصرخة الأخيرة، فتحت عيني أتنهد، أنظر حولي، لم أبرح سريري والعرق يغلفني، آه ألقيت بجسدي في تهالك وحمدت الله أنني ما زلت هنا.

تعديل من خلال WPS Office

أفرح معي

في منتصف ساحل "الولاية الذهبية" يتعانقان، يعبثان بالموج ويطاردان الأسماك وطيور البحر، يلتقطا أنفاسهما، يجري علي سطح الماء بسرعة هائلة فتجري وراءه بخفه ودلال، يسبحان بجسميهما المنسابين والماء يعلو ويهبط بهم، يسابقان الموج، و الشمس تلمع في أعينهم وبريق ذهبي يطفو، يتموجان موسيقي كلاسيكية، يرقصان، يلوي جسديهما الماء، يلعبان ويدوران حول بعضهما في حلقة دوامة زرقاء والموج يعلو بهم ويحطهما بقوة، فيقفزان ثم يهوي أسفل وهي وراءه بشكل أفقي وانسيابية يهبط ويهبط أكثر فأكثر، يصلان حتي آخر العمق، يداعبان مرجان البحر والأعشاب البحرية، يتقلبان مع التحام فمها بفمه، ويتمسح بجسدها اللؤلؤي فتنعكس زرقته عليها ويتداخلا ن، حتي يصيرا شيئا واحدا، المياه مناسبه وطيعة بدرجة حرارة رائقه، يلهوان وقد صارت الشعب المرجانية آلات طرب والطيور البحرية ترقص، يركبان الموج ويقطعان مسافات طويلة بحركة واحدة جنونية، يتقلبان بفعل حركة الدوامات، يتنفسان ببطء ويسمعان أدق الأصوات والحركات القريبة والبعيدة، صوت موسيقي الحياة.

من أسفل القاع، يري قوة ضوء الشمس الذي يضيء لهما ويجعل المياه شفافة ونقية، يهز رأسه ويتمايل عليها فتميل عليه، يتبادلان الدوران يمينا ويسارا، يجريان معا، يتوقفان معا، يضحكان، يراها من جميع الاتجاهات، يراها عندما تأتي من خلفه تداعبه، يراها إن أتت من جانبه، ينظر نحوها، هنا وهنا، وهنا، تتموج ثانية، ترقص ثانية، تضحك، توقظ سكان المياه الراكدين وتمضي في جنونها، ومن خلفها يطاردها، يحاصرها، يفاجئها، تارة عن يمينها وعن يسارها وبحركة خفيفة يبقي أمامها، يراوغها، يتنفسان بوعي، أنفاسهما تحدث فقاعات دقيقة ومرحة، الماء يجيء ويذهب بهما، يعوم تعوم، يسبح تسبح، وينتفض في نشوة يهز البحر، ينفذ الهواء خلال ثلاثين ثانية تحت الماء.

يخرجان منتعشين، يسبحان بشكل أفقي، يقطعا المسافات، سريعا جريا في انتشاء

تعديل من خلال WPS Office

وسعادة حتي يصلا إلي السطح، يلتقطان أنفاسهما من جديد، وتمتلئ رئتهما، يتنفس كل منهما من رئة واحدة، يمسح رأسه برأسها ويقفز لأعلي، أعلي، ويهبطان، يسرعان، يعومان فوق الموج، يحتضنها ويستقبل موجة أخري ثم يهوي أسفل ثانية، وقد لمع جسدها اللؤلؤي فضة ذائبة وبرق جسده الأزرق سحب نقية يخالطها سماء رائقة.

تعديل من خلال WPS Office

لست آسفا على كل حال

مضت أيام علي وفاة زوجها ومازال هناك من يأتون للعزاء، كانت شمعة تحترق في سكون باهت، ثيابها السوداء تظهر بهاء جمالها وشحوب عينيها من أثر البكاء، جالسة في مكانها في آخر مقعد في الغرفة الواسعة وقد فرغت من الأثاث ووضع بدلا منها كراسي مصطفة بشكل متواز، يحيط بها النسوة يحكون قصة وفاته لكل من يدخل عليهن وقصص مماثلة، وكيف كان ورعه وصلاحه ومعاملته الطيبة لزوجته وأن جميعهن كن يحسدنها عليه، ويتبادلن الحديث في كل التفاصيل حتي كيفية تكفينه وانبعاث الرائحة الزكية من الكفن، وأن الرجال حملوه بخفة ودفن في أول النهار وهذا حظه الجميل، وزوجته تبكي بحرقه، يحمر وجهها شفق يثير الناظرين، ودخلت أخري من عائلته اشتركت في الحديث تقول دخل عليها ليلة وفاته ووجهه قمر لا يري عليه أثر الموت، وترد واحدة:

ـ ما شاء الله هذا من أهل الجنة.

وبدأت علامات الحسد تتواري في الحديث وواحده تكتم ضحكاتها والتي بجانبها تغمز لها وتنظر للأرض، وذكرت واحدة أنه كان يشتري لها طلبات المنزل وكان شهما، وزوجته تبكي أكثر، وواحده حكت عن علاقته بزوجها وأنه لا يتركه في كبيرة ولا صغيرة أكثر من الأخ، وزوجته تبكي، وقد غطي صوت النسوة علي صوت قارئ القرآن، في هذه اللحظة جاءت أختها تدعوهن للعشاء وتأخذ أكواب الشاي، وحول مائدة العشاء لم يكففن عن الثرثرة وكل منهن تذكرت موقفا محزنا والزوجة لا تأكل ولا تشرب صامته تماما، ذكرتها واحدة أن الموت لا علاقة له بالطعام، لا تجيب فقط تحتضن دبلته في أصبعها، وبعد انتهاء العشاء، انصرفن واحدة تلو الأخرى، وبقيت بمفردها كتمت صرخاتها بيدها وسالت دموعها متلاحقة، حتي اتعبها البكاء تطلعت إلى صورته تحدثه بصمت حزين، ثم هدأت قليلا وفتحت (الفيس بوك) تنظر إلى صوره وصفحته التي هجرها مثلها، فوجت طلب مراسلة من واحدة لا تعرفها، تخبرها أنها زوجته ولها ابنة تريد ميراثها.

حدقت لشاشة الهاتف وسالت دموعها أكثر وبدت عليها الصدمة وعدم التصديق فتابعت الزوجة الرسائل، فأمسكت برأسها ثم أرسلت لها صورة قسيمة الزواج وقرأت اسمها واسم زوجها بالكامل فألقت بالهاتف أرضا، وقامت تمسك بصورته علي الحائط

تعديل من خلال WPS Office

وتحاول تكسيرها.

_لماذا؟ ماذا فعلت لك؟ وعلا صوتها ماذا فعلت لك؟ وحطمت الصورة بالبرواز الزجاجي وجرت لدخل غرفة النوم تفتح الدولاب تلقي بملابسه أرضا وتمزق (كرفاته) وتكسر زجاجات العطر، أيضا خلعت حجاب راسها والعباءة السوداء وأخذت تكسر وتدوس علي كل شيء، ملابسه، أحذيته، عطوره، صوره في كل مكان، أوراقه، أقلامه، ثم خرجت بعد ثوان، أمسكت الهاتف ومسحت رقمه وصوره، بل والغت صداقته في (الفيس بوك)، ومسحت رسائلها، وحدثت حالتها الحزينة بصورة وردة ذابلة وكتبت حالة جديدة.

ـ لست آسفا على كل حال.

تعديل من خلال WPS Office

"رفد" مع مرتبة الشرف

لا أعترف بالحب كثيرا ربما لأنني لم أصادفه يوما، ولكن ما ذلك الشعور الذي يخالجني عندما ألمح ندي زميلتي في العمل، أعود بناظري لهيئتي البسيطة وأجلس كعادتي كل صباح صامتا، لا أشارك الزملاء في الإفطار ولا أعزمهم علي الشاي، كما لا أبتسم لخالد الزميل المرح ولا أتودد لرئيسي الثقيل الدم، عدلت من (جاكتي) وأحنيت ظهري علي مكتبي الصغير، أنظر في ساعتي الجلد السوداء القديمة وأتعجب من تأخر موعد تأنيب المدير لي علي شيء لم أفعله أو شيء فعلته خطأ او لا شيء، أتساءل كثيرا عن سبب كرهه لي ولا أجد إجابة حتي الموظفين لا يعيروني اهتماما ولا يواسونني طيلة السنوات العشرين في العمل، لم أترق وليس لي صديق، ربما لست سيئا لتلك الدرجة، حتي ندي لم تلتفت لي، هي مطلقة ووضعها صعب أعرف كل شيء، كما أعرف كم هي جميلة وصغيرة علي ما هي فيه، توهمت أنه بإمكاني العيش منفردا حتي فاتني العمر، فما الذي يجعل ندي تفكر بي وقد فقدت كل مقوماتي الجاذبية وصبغ شعري البياض، هي فاتنه، لو أنني قابلتها منذ زمن كان تغير الكثير، أتت من مصلحة أخري غير مصلحتنا، أغيب أوقات وأقدم لها مساعدة تحتاجها دون طلب منها، لا لشيء سوي أني أحب رؤيتها مبتسمة، علمتها أشياء تحتاج لخبره فقد تراكم فوقي التراب بجوار هذا المكتب بكل ما فيه من أوراق ودفاتر وملفات وأدراج بعضها مغلق مذ أن أتيت.

طلبني المدير أخيرا، انتفضت وطويت رواية "عزازيل" الذي كنت أقرؤها وأخفيتها في درج أسفل وذهبت إليه وجلا، أنا أخشاه لا أعرف لماذا؟ وأخاف الأصوات العالية أيضا و لا أستطيع المرور في مكان يتشاجرون فيه وربما قبعت في أخر غرفتي علي البلاط، ألتصق بالحائط لو سمعت صياح أحد الجيران أو صراخا علي ميت أو صت سيارة جرار والنقل، ويا لها من كارثة لو كان صوت قطار، لذلك أنا لا أسافر به ولا أسافر أصلا، أشعر بدوار، كنت مرهقا ذلك اليوم لدرجة أنه لا يمكنني تحمل سخطه وتعنيفه، فكرت أن أعتذر له قبل أن يتكلم عن شيء قصرت فيه، أو أبتسم في لا مبالاة، انتابتني حالة توتر وطرقت باب مكتبه، وبمجرد فتح الباب هم واقفا يتجه نحوي، وقد تصببت عرقا وهو يزعق بشيء لا أسمعه وحدقت فيه أكثر وهو يشاور بيديه، صوته يعلو وأنا أهذي أكثر تخليت عني تماما وتركت ضحكاتي ويداي تلوحان في بلاهة و(جاكتي) الأكبر من

تعديل من خلال WPS Office

حجمي يرتج فوق جسدي، وبدا لي المدير أصلع وعينيه حمراوين وشفتيه زرقاوين وأخذ يضحك ويخلع ملابسه وأنا أضحك أكثر، وقف عاريا يصيح بشدة وأنا لا أتمالك نفسي من الضحك وضربت كفا بكف، وأتي الموظفون علي صوته ورأيتهم علي حالته مجردين من ملابسهم ويتضاءلون غير أن رؤوسهم أصبحت ضخمة وهم يتحركون بثقل ويهدئون المدير حتي لا يقتلني، أحدهم نحاني جانبا وأنا أضحك وسقت مغشيا علي من الضحك ولم أفق الا علي كلمة المدير التي كررها مرات لا تحصي:

ـ أنت مرفود يا أستاذ، مرفود يا سمير نهائي، مرفووود.

خرجت منكس الرأس، منحني الظهر والزملاء يمسكون بي يوصلوني إلي مكتبي، خائر القوي تماما ولأول مرة منذ عامين أري نظرة أشفاق في عين ندي، أخفيت دمعي بين أجفاني ولملمت أشيائي الخاصة وكتبي ورواياتي التي أضعها في الأدراج لأقرأها خلسة وقلمي البائس، ثم أدرت ظهري دون التفات، أستشعرهم يقفون وراء ظهري متعاطفين، لا أحب نظرات الشفقة هذه، لم أفكر في شيء ولا ماذا سأفعل؟ ولا كيف سأتصرف؟ اعترضنني أحدهم بحجة أن المدير عصبي وسوف يصفح عني، تركته في لغوه وأمضيت طريقي للخارج، أريد استنشاق هواء الحرية لمرة واحدة، ذهني فارغ من كل شيء إلا أنت يا ندي، بينما يمرون بجواري في سلام كنت أزدحم بك، لم أدر أنني أمتلئ بها في لحظة مثل لحظة خروجي وكأنني نبي أخرجوه من أرضه وأرغموه علي السياحة في الأرض، والشيء الوحيد الذي يفرقني عنهم، أنني لم تك لدي رسالة أدعو إليها الجميع، كنت فارغا حتي من نفسي وروحي، ولو أنني رسول الحب لقلت أنني أحب ندي، كيف وأنا لم أجرب الحب قط؟!

ضحكت ملء فمي حتى انحني ظهري، أغمض عيني وأجلس وأقوم، ألملم أشيائي ونسيم ندي يبتعد وتبتعد الطريق، فأصبح في حجم نملة هناك لا يراها أحد.

تعديل من خلال WPS Office

لا شيء

لست سوي محض صدفة على الإطلاق، لا تصلح أن تعيش في هذا الكون الفسيح، جربت الموت كثيرا ولكن الذي أخشاه أن يكون كل ما ناضلت من أجله وهم، ربما مت حزنا يوما ما ولا أحد يدري أو فقدت في نوبة من نوبات النوم الطويلة، وأنتم لا تفقدون ضحكتي الباهتة وتنسون سيرنا في الطرقات لأن هناك البديل دائما، ويكفي أن تمر الليلة كباقي الليالي، وأن لا أصغي لحديث هند العاطفي، أختك الصغرى التي احتلت البيت بعد زواجنا بأسبوع ـ وهذا عمر زواجنا الأصلي ـ وباقي الثلاث سنوات متروكة للصمت، مع إنني لا أذكر تفاصيل هذا الأسبوع ولكن هند لم تك معنا، أتت بعد أسبوع عندما توفي والدها وخافت أن تعيش بمفردها، وقد تزوجت أمك برجل تحبه من سنين ومع هذا أنت تقبل وتوافق وتأخذ هند لتكمل دراستها، كنت أشاهد ما تفعله مع هند وأتعجب من حنانك المفرط، تمنيت أن يشملني مرة واحدة، ماذا تعرف عني غير أنني البنت المرحة التي لا تزعج أحدا، كان يعجبني شعرك المائل للسواد، أحببت طريقتك في مناداة اسمي ولم أعرف الحب، كنت ساذجة وصغيرة، ظننتك تحبني ووافقت علي الزواج سريعا، كنت أعيش عند خالتي بعد سفر أمي وأبي، حلمت كثيرا أن تحادثني وتسهر معي مثل هند وحبيبها، لكنك لم تفعل، فكرت أن أصغي لمكالمات هند فأنا لا أعرف ماذا يقولون؟ ثم تراجعت، لا أريد أن أتألم أكثر، والذي حدث بعد فتره قليله من مجيء هند هو اكتشافي أحاديثك أنت ومكالماتك الطويلة مع ناس لا أعرفهم ولن أعرفهم، فأنت تعرف تحب غيري والذي يحزنني أكثر هو صمتي في كل مرة أري فيها رسائلك ومكالماتك، صمت يشبه الموت، كأنك لا تعرفني ولا تخصني وأشعر أنه ليس من حقي مواجهتك، خفت عليك من الألم، أدركت وقتها مدي حبي الحقيقي لرجل تزوجني بالصدفة، فضلت أن أتألم وحدي وأبكي ما استطعت، البكاء يشفي الروح قليلا، كنت وحيدة لدرجة أنني أخاف أن تتركني أكثر من خوفي لو ذهبت مع إحداهن، خفت حتي من نفسي وأنا أقبع في ركن بعيد أحتسي الأرق تؤنسني دموعي، في هذه اللحظة بكائي يختلط مع أنيني وحديث هند، ثمة قطعة في القلب تطوق للحب و

تعديل من خلال WPS Office

الباقي ميت لا يصلح لشيء، وبكيت أكثر، روحي مثقلة بهموم خلفها الصمت، حنين لأ شياء لم أعشها بعد، أشعر أن شيئا ما يقيدني لا أعرف ما هو؟ هل شبح أم شيطان أم أنا بذاتي؟ شعوري بك أغرب من وحدتي وعذاب خلقته لنفسي، وسألت نفسي لماذا أقبل بكل هذا وأعيش معك؟ وما زال السؤال يراودني، يمكنني فعل أي شيء إلا فقدك، وبكيت أكثر عندما تخيلت رحيلي مع ضوء الصباح ولم أعد أرقبك عن بعد وأنت نائم و لا أصغي لحديث هند العاطفي، فكرت أن أكون مثلكم ولكني فشلت في هذا أيضا، والآ ن لم أستطع التحمل أكثر، ولي طلب أخير ألا تبحث عني،

جففت دموعي وطويت الرسالة ووضعتها في مكان حتي تراها عندما تستيقظ واستقبلت ضوء الصباح بروح خفيفة لأول مرة، أشعر بالطيران وأنني أبتسم لشخص لا أعرفه وأن عصفورا جميلا يغرد في قلبي، كل هذا لأول مرة.

تعديل من خلال WPS Office